كفاحي ومذكرات

أدولف هتلر

كفاحي ومذكرات

أدولف هتلر

«20 أبريل 1889 ـ 30 أبريل 1945م»

يوسُف أبو الحَّجاج الأقصرى



تقديم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله وبعد

بين يديك عزيزي القارئ سيرة مختصرة جدا عن رجل أثار إعجاب العالم وحنقه في آن واحد، رجل استطاع أن يصبح أكبر وأشهر قائد عسكري في زمانه وهو لم يكن أكبر ولا أقل من جندي احتياط في جيش الرايخ الثاني بعد أن ترك دراسته، رجل اشتهر بكسب الجماهير الألمانية وسحرهم من خلال خطبه النارية وقوة صوته وصلابته وجرأته رجل استطاع توفير فرص عمل للشعب الألماني بعد أن كانت ألمانيا تعاني من بطالة كبيرة وبنى فيها أكبر شبكات الطرق السريعة الداخلية والخارجية، رجل لم يستسلم حين انهزم بل وفضل الانتحار على أن يحيا مهزوماً... إنه أدولف هتلر الذي كتب قصته بنفسه وسماها «كفاحي» ووضع في كتابه هذا فلسفته وأفكاره ومنهجه، لم يكن يوماً خائنا لبلاده بل كان في كل مناسبة يقسم قائلاً «إني أقسم لأبذلن ما في طاقتي لخير الشعب الألماني، ولأحترمن دستور ألمانيا وقوانينها، ولأقوم من بواجباتي على هدى الضمير،

وأعامل الجميع بتجرد وأمانة،.. فهل فعل ذلك فعلاً؟

في هذا الإصدار بانوراما سريعة على بعض جوانب شخصية هتلر ومواقفه وخاصة فترة طفولته كما دونها هو في كتابه «كفاحي»

* لقد أصبح «هتلر» شيطانا، وأصبحت النازية شعاراً للقتل والفتك والدمار، ترى لو كان هتلر استطاع الفوز في حربه وانتصر هل كانت تستطيع أبواق الدعاية الصهيونية أن تجعل صورة هتلر ذلك الشيطان الذي أباد اليهود؟..

* بالتأكيد أخطاء هتلر كثيرة ولا تغتفر يكفي هذا العدد الهائل من القتلى التي تعد بالملايين والتي ذهبت ضحية الحرب العالمية الثانية، ويكفي جدا أنه كرر نفس أخطاء نابليون عندما قام بغزو روسيا...

بالطبع الحديث عن أدولف هتلر منذ نشأته حتى وصوله إلى أعلى قمة السلطة للرايخ الثالث وفلسفته في الحياة والحكم ونظرته القومية المتعصبة وتأليهه للعنصر الآرى الألماني والذي حاول أن يجعل منه النموذج الأول للجنس البشري ومعاداته لليهود، وبناء أقوى جيش في العالم وأقوى صناعة حربية وأقوى دعاية كل ذلك يحتاج لمجلدات وهنا نكتفي بذكر بعض النقاط الحيوية والهامة عن شخصية «هتلر» والتي دونها بنفسه من خلال كتابه كفاحي.

والله الموفق والمستعان

الفصل الأول

هتلر.. مَنْ يكون؟!
هتلر في سطور

مَـنْ يكـ

ون؟

* أدولف هتلر «20 أبريل 1889 ـ 30 أبريل 1945م» سياسي ألماني نازي ولد في النمسا، وكان زعيم حزب العمال الألماني الاشتراكي المعروف للعامة باسم الحزب النازي واختارته مجلة تايم واحداً من بين مائة شخصية تركت أكبر الأثر في تاريخ البشرية في القرن العشرين.

* في عام 1919م انضم هتلر إلى حزب يميني متطرف في ميونخ يُسمى «حزب العمال الألماني» والذي غير اسمه إلى «حزب العمال الألماني الاشتراكي القوى» وأصبحت هذه الجماعة تعرف بعد ذلك باسم «الحزب النازي»، وقد دعا النازيون إلى اتحاد جميع الألمان في أمة واحدة، كما دعوا إلى إلغاء معاهدة «فرساي» التي وقعتها ألمانيا بعد الحرب.

* وباعتباره واحداً من المحاربين القدامى الذين تقلدوا الأوسمة تقديراً لجهودهم في الحرب العالمية الأولى بجانب ألمانيا أصبح هتلر زعيما للحزب النازي عام 1921م.

* استطاع هتلر أن يحصل على تأييد الجماهير بتشجيعه لأفكار

تأييد القومية ومعاداة الشيوعية وذلك بفضل الكاريزما أو الجاذبية التي كان يتمتع بها في إلقاء الخطب وفي الدعاية.

* قاد الحزب النازي في محاولة انقلاب سياسي في نوفمبر 1923م وفشلت المحاولة وحكم على هتلر بالسجن لمدة 5 أعوام قضى منها عاماً واحداً ثم أفرج عنه، وخلال هذا العام بدأ في تأليف كتابه «كفاحي» الذي ضمنه مبادئ الحركة النازية ثم أكمله عام 1927م.

* بدأ نجم هتلر في السطوع عام 1928م عندما فاز حزبه باثني عشر مقعداً في مجلس النواب، وفي عام 1930م حدثت أزمة الكساد الاقتصادي العالمي التي استغلها هتلر بوعود قطعها لرجال الصناعة الألمانية تضمنت حمايتهم من المد الشيوعي كان من نتائج هذه السياسة أن ارتفع عدد أعضاء حزبه في المجلس إلى 106 عضواً وبرزت شخصية هتلر والتفت حولها الجماهير..

* في عام 1933م تم تعيينه مستشاراً لألمانيا فعمل على إرساء دعائم نظام تحكمه نزعة ديكتاتورية شمولية، وانتهج هتلر سياسة خارجية لها هدف مُعين مُعلن وهو الاستيلاء على ما أسماه بالمجال الحيوي ويقصد به السيطرة على مناطق معينة لتأمين الوجود لألمانيا النازية وضمان رخائها الاقتصادي وتوجيه موارد الدولة نحو

تحقيق هذا الهدف..

* قامت قوة الدفاع التي أعاد بناءها بغزو بولندا عام 1939م مما أدى إلى اندلاع الحرب العالمية الثانية، وخلال ثلاث سنوات احتلت ألمانيا ودول المحور معظم قارة أوروبا وأجزاء كبيرة من أفريقيا ودول شرق وجنوب شرق آسيا والدول المطلة على المحيط الهادي ومع ذلك نجحت دول الحلفاء في أن يكون لها الغلبة في النهاية.

* بحلول عام 1944م وفي نهايته كان الجيش الأحمر الروسي قد أجبر الألمان على التراجع إلى أوروبا الوسطى وكانت قوات الحلفاء تتقدم نحو ألمانيا، وقد أدرك هتلر أن ألمانيا قد خسرت الحرب ولكنه لم يسمح بالانسحاب وتمنى أن يقوم بالتفاوض المنفرد من أجل السلام مع الأمريكان والبريطانيين.

* في أبريل 1945م هاجمت القوات السوفيتية ضواحي مدينة برلين ووجد هتلر نفسه في وضع يجبره فيه مطاردوه على الفرار إلى جبال بافاريا ليتمكن من مواجهتهم في جولة أخيرة في المعقل الوطني الذي لجأت إليه الفلول المتبقية من قواته ولكن هتلر كان مصمما على أن يعيش في عاصمة بلاده أو يُهلك فيها.

* في 21 أبريل 1945م احتفل هتلر بعيد ميلاده السادس والخمسين في «قبو الفوهور» الذي كان موجوداً أسفل رأى هتلر أن الخلاص من ورطته قد يكون في الوحدات المتداعية للسقوط بقيادة الجنرال «فليكس شتاينر» وقد أصبحت القوات التي يقودها شتاينر معروفة باسم جيش «شتاينر المستقل» ولكن لم يكن لجيش شتاينر المستقل أي وجود إلا فوق الورق الذي تسطر فوقه الخطط العسكرية، وقد أصدر هتلر أوامره إلى شتاينر بمهاجمة الجناح الشمالي من الجزء البارز الضخم في خط الدفاع الألماني والذي نجحت القوات الروسية بقيادة جوكوف في اختراقه، وفي هذه الأثناء صدرت الأوامر أيضا إلى الجيش التاسع الألماني بمهاجمة الشمال في هجوم يمكن وصفه إنه هجوم الكماشة.

* في الثاني والعشرين من أبريل 1945م وأثناء أحد مؤتمراته العسكرية الأخيرة قام هتلر بمقاطعة التقرير الذي كان يُبلى عليه ليسأل عن مصير خطة الجنرال شتاينر الهجومية فأخبره القادة بأن الهجوم لم يتم تنفيذه وأن انسحاب وحدات من جيش شتاينر من برلين قد تم بناء على أوامر وأن هذا أدى إلى ضعف الجبهة بالتالي نجاح الروس في الدخول إلى برلين...

وقد أقسم هتلر في نهاية ذلك الاجتماع على أن يبقى في برلين

على رأس القوات المدافعة عن المدينة ثم يُطلق النار على نفسه بعد ذلك إذا انهزم، وقبل أن ينتهي ذلك اليوم وجد هتلر أن سبيل النجاة الوحيد أمامه يتمثل في تنفيذ خطة جديدة يستعين بها بقوات الجيش الثاني عشر بقيادة الجنرال «فالترفنك» وكانت الخطة تقضي أن يقوم «فنك» بتحويل جيشه الذي كان يواجه القوات الأمريكية في الغرب حينها إلى ناحية الشرق لتحرير «برلين» وهكذا يلتحم الجيش الثاني عشر مع الجيش التاسع لاقتحام المدينة، وقد قام «فنك» بالهجوم وفي غمار الفوضى استطاع أن يقوم باتصال مؤقت مع حامية «بوتسدام» ولكن لم ينجح بالمرة في الاتصال بالجيش التاسع كما كان مقرراً في الخطة أصلاً.

* في الثالث والعشرين من أبريل 1945م قام الرجل الثاني في حكومة الرايخ الثالث وقائد القوات الجوية هيرمان جورينج بإرسال برقية من منطقة «بيرتشنيغادين» في «بافاريا» يقول فيها بأنه بعد أن تم حصار هتلر في برلين فإنه يطالب بتولي حكم ألمانيا خلفاً لهتلر الذي كان قد اختاره لتولى هذا المنصب خلفا له من قبل، وذكر «جورينج» فترة زمنية معينة يتم بعدها اعتبار هتلر غير مؤهل للبقاء في الحكم، ورد هتلر على ذلك بإصدار أوامره بالقبض على «جورينج»، وحتى عندما قام هتلر بكتابة وصيته في التاسع والعشرين

من أبريل 1945م والتي أعفى فيها جورينج من كل المناصب التي كان يتقلدها في الحكومة، ومع انقضاء اليوم السابع والعشرين من شهر أبريل 1945م كانت برلين قد انعزلت تماما عن باقي الرايخ.

* في الثامن والعشرين من أبريل 1945م اكتشف هتلر أن قائد وحدات النخبة النازية «هاينريشي هيلمر» كان يحاول مناقشة شروط الاستسلام مع الحلفاء، لذا أصدر هتلر أوامره بإلقاء القبض على هيلمر كما أمر بإطلاق النار على نائب هيلمر في برلين وفي مساء الثامن والعشرين من أبريل صرح الجنرال «فينك» بأن جيشه الثاني عشر قد تم إجباره على التراجع على طول جبهة القتال، وأضاف بأنه لم يعد من الممكن القيام بأية هجمات أخرى على برلين..

* في التاسع والعشرين من أبريل 1945م أملى هتلر وصيته الأخيرة على سكرتيرته الخاصة «تراودل يونج» ووقع عليها كبار القادة الألمان، وفي نفس اليوم تم إبلاغ هتلر بأخبار وفاة صديقه الإيطالي الفاشي بنييتو موسوليني في الثامن والعشرين من أبريل 1945م وهو الأمر الذي زاد من تصميمه على أن يتجنب الوقوع في الأسر .

* في الثلاثين من أبريل عام 1945م وبعد اشتباكات عنيفة انتقلت من شارع إلى شارع في مدينة برلين وبينما كانت القوات السوفيتية على بُعد تقاطع أو اثنين من مقر مستشاريه الرايخ قام

«هتلر» بالانتحار بإطلاق النار داخل فمه وقد تم وضع جثة هتلر وجثة «إيفا براون» عشيقته التي تزوجها في اليوم السابق لانتحاره في حفرة صنعتها قنبلة، وقام بعض الضباط المعاونين الموجودين في قبو القائد بسكب الكثير من البنزين على الجثتين وإشعال النار فيهما بينما كان الجيش الأحمر مستمرا في تقدمه ممطرا برلين بالقنابل.

* وهكذا كانت النهاية المأساوية لأودلف هتلر..

كفاحي وشخصية هتلر

كانت شخصية هتلر تحمل تناقضات عدة عادة ما تظهر في وسائل الإعلام المختلفة، تم وصف شخصيته بالشخصية الديكتاتورية التي تورد هلاك العالم والبعض يصفه بأنه الشيطان وآخرون يتهمونه بأنه قام بالعديد من المجازر التي راح ضحيتها الآلاف من البشر، كما اُتهم بمعاداة السامية.. فهل هذه هي الحقيقة المجردة أم لا؟!

* ظلت وستظل شخصية هتلر شخصية خلافية عالمياً في أغلب الأحيان فتظهرها دائما وسائل الإعلام الغربية بأنها شخصية سيئة معاداة للسامية ولكن لهتلر بالطبع ميزات كما أن له عيوب وأعمال سيئة.

* عندما تسلم هتلر مقاليد الحكم في ألمانيا كانت ألمانيا وقتها مهزومة في الحرب، مدمرة اقتصاديا، موقعة على معاهدة فرساي والتي تنص على تحديد عدد الجيش وتحديد القدرات العسكرية الألمانية لكنه بعد ذلك زاد القدرات العسكرية الألمانية، وألغى معاهدة فرساي وأنشأ المصانع وكانت البطالة في ألمانيا قبل توليه هائلة فانخفضت في عهده البطالة كما انتعش الاقتصاد

الألماني، كما بسط هتلر أفكار الاشتراكية القومية وأراؤها السياسية والأيديولوجية حيث كتبها في كتاب «كفاحي»، وفحواها أن الاختلاف بين الأجناس والأفراد أمر فرضته الطبيعة في نظامها الأزلي وأن «العنصر الآرى» هو العنصر الوحيد الخلاق في تاريخ البشرية، وأن الشعب الألماني هو الوحدة الطبيعية الأساسية للبشرية، وأن الشعب الجرماني هو أعظم الشعوب قاطبة، وأن الماركسية والشيوعية بتأكيدها للعالمية والصراع الطبقي غير صالحة وخلف الماركسية يكمن العدو الأكبر وهم اليهود الذين يجسدون الشر على الإطلاق ويريدون تدمير العنصر الآرى، لذلك يجب تطهير الرايخ منهم والحفاظ على نقاء الدم الآرى.

* وصل أدولف هتلر إلى السلطة عبر سلسلة من الإجراءات التي أزاح بها خُصومه من المسرح السياسي وثبت دعائم دكتاتورية الشخصية المطلقة، فعندما احترق الرايخ ستاغ أعلن حالة الطوارئ وحصل على تفويض بإصدار القوانين من دون الرجوع إلى البرلمان، وبدأ تطهير جهاز الدولة من الخصوم ومن غير الآريين، وانطلقت حملة ضد الشيوعيين واليهود والأحزاب المعارضة، كما تم إلغاء النقابات وتشكيل جبهة العمل الألمانية وأعقبها تشكيل منظمة «شبيبة هتلر» لتربية الشباب وتدريبهم حسب المبادئ النازية الآرية.

* بعد موت «هندنبورغ» تم توحيد منصبي مستشار الرايخ ورئيس الرايخ في شخص هتلر الذي أدى له الجيش قسم الولاء وتحولت ألمانيا إلى دولة الحزب الواحد الذي سيطر على مجالات الحياة كافة بواسطة جهاز الغستابو «الشرطة السرية» ومنظمات الحزب العسكرية.

* وهكذا أمسك هتلر بكل مفاتيح السلطة المدنية والعسكرية والشعبية التي تركزت في شخص الفوهور «الزعيم».

* يعتقد البعض أن «هتلر» صار رمزاً للديكتاتورية والحكم العنصري الفاشي الدموي، ويرى فيه آخرون أنه مفجر الحرب العالمية الثانية التي جعلت ألمانيا تقف في وجه دول كثيرة في العالم مما وجه وجهها والعالم المعاصر في مواجهة مسلحة فيما يعتبره آخرون رمزاً للكفاح.

* وهناك الكثير من الأعمال الوثائقية التي تم إنتاجها بعد سقوط الرايخ الثالث بأموال صهيونية لجعل هتلر شيطان الأرض منها النقطة العمياء، تحت حكم الصليب المعقوف، القبو، المرآة الخاوية، هتلر نهوض الشر.

معتقدات هتلر الدينية

ما هي معتقدات هتلر الدينية؟

نشأ هتلر بين أم تنتمي للمذهب الروماني الكاثوليكي وأب معادي لرجال الدين، ولكنه بعد أن ترك منزل والديه لم يحضر أي قداس ولم يلتزم بالطقوس الدينية للكنيسة الكاثوليكية وبالرغم من ذلك فعندما انتقل إلى ألمانيا حيث يتم تمويل الكنائس الكاثوليكية والبروتستاتينية عن طريق ضريبة للكنيسة تقوم الدولة بجمعها لم يقم هتلر مطلقا بالتخلي عن الكنيسة أو الامتناع عن سداد الضرائب الخاصة بها..

* لم يؤمن هتلر بالله وكان ضد سيطرة القساوسة على مقاليد الأمور في أوروبا ونظر للأخلاق المسيحية في ازدراء لأنها تتعارض مع وجهه نظره المفضلة وهي البقاء للأصلح وفقا للمؤرخ «لورانس ريس» فإن هتلر لم يكن مسيحيا بل كانت معتقداته الدينية أقرب إلى الربوبية، وقد سمح هتلر باضطهاد الكنيسة الكاثوليكية وسجن القساوسة وصادر أملاك الكنائس والأديرة.

* ومع ذلك كان هتلر يمتدح علانية التراث المسيحي والحضارة المسيحية الألمانية وأعرب عن اعتقاده في أن المسيح كان ينتمي إلى الجنس الآرى لأنه كان يحارب اليهود..

* في خطبه وتصريحاته تحدث هتلر عن نظرته للمسيحية باعتبارها دافعا محوريا لمعاداته للسامية قائلاً: أنا كمسيحي لا أجد نفسي ملزما بالسماح لغيري بخداعي ولكنني أجد نفسي ملزما بأن أحارب من أجل الحقيقة والعدالة.

* وبحسب المؤرخين كان هدف هذا التصريح الإيجابي حول المسيحية هو جذب الناخبين المسيحيين الألمان ولا يعبر عن معتقدات هتلر الحقيقية أما تصريحاته التي نقلها عنه أصدقاؤه المقربون فيشوبها الكثير من الاختلاط فهي تظهر هتلر كرجل متدين على الرغم من انتقاده المسيحية التقليدية وقد قام هتلر بعدة مرات بهجوم على الكنيسة الكاثوليكية كان يعيد إلى الأذهان جدال شترايشر حول فكرة أن المؤسسة الكاثوليكية كانت تناصر اليهود وتتحالف معهم، وفي ضوء هذه التصريحات الخاصة يعتبر «جون إس كونواى» والعديد من المؤرخين الآخرين أنه ليس هناك مجال للشك في أن هتلر كان يحمل بين جوانحه عداءً متأصلاً للكنائس المسيحية والتي تتفاوت إلى حد بعيد في مصداقيتها، ويمكن الاطلاع في نظرة

عامة على معتقدات هتلر الدينية بناء على تصريحاته الشخصية الظاهرة وعلى الرغم من ذلك ففي مجال العلاقات السياسية مع الكنائس في ألمانيا، كان هتلر بكل سهولة ينتهج استراتيجية تناسب الأهداف السياسية التي كان يسعى لتحقيقها، ووفقا لآراء البعض كان لهتلر خطة عامة حتى قبل أن يصل إلى كرسي الرئاسة ألا وهي تدمير المسيحية في الرايخ.

* وقد صرح رئيس منظمة «شباب هتلر» قائلاً: كان تدمير المسيحية هدفاً ضمنياً تسعى الحركة الاشتراكية الوطنية لتحقيقه، منذ بدايتها ولكن كانت الاعتبارات المتصلة بالوسيلة الممكنة لتحقيق هذا الهدف هي ما جعلت من المستحيل أن يتم التصريح علنا بهذا الوضع المتطرف..

* ويعتقد معظم المؤرخين أن هتلر كان مختلفاً عن غيره ممن عكست تصرفاتهم أيدلوجيات النازية، فلم يكن هتلر ممن يؤمنون بالأفكار القاصرة على فئة محدودة من البشر أو يؤمن بفكرة وجود قوى خفية فوق طبيعية يمكن إخضاعها للقوى البشرية، ولم يكن متمسكا بالأيدلوجية التي تؤمن بوجود حكمة خفية كامنة في الجنس الآرى دون غيره من الأجناس وسخر هتلر من تلك المعتقدات في كتابه «كفاحي».

ويعتقد آخـرون أن هتلر في شبابه خاصة فيما يتعلق بآرائه العنصرية تأثر بعدد وافر من الأعمال التي كتبت عن القوى فوق الطبيعية والتي تحدثت عن التفوق الغامض الذي يتمتع به الألمان علاوة على ذلك قام هتلر لبعض الوقت بحث الشعب الألماني على اعتناق شكل من أشكال المسيحية التي أطلق عليه اسم «المسيحية الإيجابية»، وهو معتقد يقوم على تخليص المسيحية الأرثوذكسية مما يعترض على وجوده فيها ويتميز بإضافة بعض الملامح العنصرية إليها، وبالرغم من ذلك فبحلول عام 1940م كان معلوماً للرأي العام أن هتلر قد تخلى عن فكرة حث الألمان على الإيمان بفكرة إمكانية التوفيق بين الأفكار المتعارضة التي تدعو إليها المسيحية الإيجابية.

* كان هتلر يرى أن الإرهاب الديني هو باختصار ما تدعو إليه التعاليم اليهودية وهي تلك التعاليم التي تعمل المسيحية على الترويج لها والتي من شأنها أن تزرع القلق والارتباك بين عقول البشر.. هذا ما تصوره هتلر..

* وبالإضافة إلى عدم حضور القداس أو الالتزام بالطقوس الدينية للكنيسة الكاثوليكية فقد كان هتلر يفضل بعض جوانب المذهب البروتستانتي إذ كانت هذه الجوانب ستمكنه من تحقيق أهدافه، وفي الوقت نفسه قام هتلر بمحاكمة بعضا من القساوسة

الذين كانوا من معالم الكنيسة الكاثوليكية المتمثلة في نظام مؤسستها القائم على التسلسل الهرمي وعلى وجود طقوس معينة ولغة خاصة يتم استخدامهما فيها.

* لقد أبدى هتلر إعجابه بالتقاليد العسكرية في تاريخ المسلمين وأصدر أوامره إلى «هيملر» بإنشاء فرقة عسكرية من المسلمين فقط في وحدات النخبة النازية وهي أخبار غير مؤكدة وربما تم تصديرها لغير صالح الإسلام والمسلمين كذلك قيل إن هتلر كان يأتمن هؤلاء على أسراره وهناك تصريح غير مؤكد على لسان هتلر قال فيه «إن دين محمد الإسلامي من أكثر الأديان التي كانت ستلائم الأهداف التي نسعى لتحقيقها أكثر من المسيحية نفسها» فلماذا يتوجب علينا أن نعتنق المسيحية بكل الخنوع والهوان التي تتصف بهما.

* لم يكن هتلر مؤيدا لدين معين على الإطلاق بل قال في تصريح له «لا نريد إله غير ألمانيا نفسها ومن الضروري أن نتخلى بإيمان وأمل وحب لمن يتصفون بالتعصب لألمانيا ولصالح ألمانيا».

* وقد عانت الكنيسة الكاثوليكية من الاضطهاد الديني في ألمانيا النازية باعتبار النازية أيدلوجية شمولية، وادعى النازيون السيطرة المطلقة على الأنشطة الجماعية والاجتماعية والتدخل في شؤون التعليم الكاثوليكي والمجموعات الشبابية والأندية العمالية

والجمعيات الثقافية ولم تقبل الأيدلوجية النازية أن تكون الكنيسة مؤسسة مستقلة وقد قامت القيادة النازية بقيادة هتلر بمحاولات لمحو المسيحية في ألمانيا على المدى الطويل.

الفصل الثاني

«كفاحـــي»

هتلر يتحدث عن طفولته وصباه وشبابه وأفكاره عن الاشتراكية الديمقراطية وغيرها

في هذا الجزء من كتاب كفاحي تحدث هتلر عن طفولته وصباه وشبابه ونشأته ونظراً لأهمية ذلك في تكوين شخصيته وأفكاره رأينا أن ننقل للقارئ هذا الجزء كاملاً كما ورد في كتاب هتلر «كفاحي».

«طفولة هتلر»
من كتاب كفاحي

«١»
«طفولتي وصباي»

كتب هتلر عن طفولته يقول:.

* أبصرت النور في مدينة صغيرة تدعى برونو، تقع على الحدود بين ألمانيا والنمسا، الدولتين الألمانيتين اللتين يجب أن يتجدد اتحادهما قبل أي هدف من الأهداف التي نعمل من أجلها في حياتنا، فالنمسا الألمانية يجب أن ترجع إلى حظيرة الوطن الألماني الكبير، إذ أن دمنا الواحد هو ملك لوطننا الواحد، ولن يتمكن شعبنا الألماني من أي نشاط استعماري ما لم ينصهر أبناؤه جميعهم في دولة واحدة، وحين يحوي الرايخ جميع أبناءه يصبح من حق الشعب في أن يستولى على الأراضي الأجنبية، إذ يمسى الوطن عاجزاً عن إعالة أبناءه.

* في عام 1890م أبصرت النور وكان والدي موظفاً مثالياً

في الجمرك، وبعد أن أُحيل إلى التقاعد ذهب بنا إلى مدينة «لانز» مسقط رأسه ثم إلى قرية «لامباخ» حيث انصرف إلى أعمال الزراعة في أرضنا، ودخلت أنا مدرسة «لامباخ»، وبالرغم من صغر سني كنت أفكر في مستقبلي، فلم تستهوني مهنة ولم أكن أميل إلى الوظيفة التي كانت تبدو لي كالحبل يُشد بي إلى الأسفل، وكنت أجد في نفسي موهبة القائد في كل مرة أحاول فيها إقناع رفاقي في المدرسة بوجهة نظري، وكنت أمضي أوقات الفراغ في مكتبة والدي أنكب على مطالعة كتب التاريخ والمجلات المصورة، وفي ذات يوم عثرت على مجلة فيها وصف مدهش للحرب بين بروسيا وفرنسا، وكنت أتساءل وأنا أقرأ عن معارك الجيش البروسي المظفر، أين كان ألمان النمسا يومئذ؟، ولماذا تخلف النمسويون من النصر، وهل هناك فرق بين الألمان الذين قهروا نابليون الثالث وبين ألمان النمسا؟.

* لقد كان والدي يعلم أن الدروس الكلاسيكية لا تهمني ولكن بالرغم من ذلك كان يُريد أن ينقلني إلى إحدى مدارس الفنون، كي يجعل مني في المستقبل موظفاً ولكنه لم يشك في أني سأقاوم إرادته لذلك كانت مفاجأة رفضي شديدة على نفسه، وعبثا حاول إغرائي بمحاسن الوظيفة التي عاش هو حلوها ومرها..، وقد آلمه صراحتي أنا الولد الصغير بأني لن أصبح كما كان هو موظفاً سجين

مكتبه، ولكني وافقت على الانتقال إلى معهد الفنون الجميلة، وهناك اكتشفت أني أملك موهبة في الرسم ولكن والدي أكد لي مجدداً رغبته في أن أكون موظفاً، وكان جوابي أني قررت أن أصبح مصورا أو رساماً، فأغضبه جوابي، ولكن تشبثت برأيي وتشبث هو الآخر برأيه، فأخرجني من المعهد وأعادني إلى المدرسة، وهناك ثابرت على دراسة فن الرسم وأهملت دروسي الأخرى ولكن كنت متفوقاً في مادتي التاريخ والجغرافيا.

* ويواصل «هتلر» سرد ذكريات طفولته وصباه قائلاً: ـ

واليوم وأنا أستعيد ذكريات الماضي أشعر بأني مدين لوالدي بأن أصبحت وطنياً متطرفاً، فقد رسخت في ذهني ملاحظات أستاذ التاريخ الدكتور «ليوبولد بوش» أن النمسا جزء لا يتجزأ من ألمانيا، وأن زوالها كدولة مستقلة أمر ضروري للأمة الألمانية.

* توفى والدي فجأة وأنا لا أزال في الثالثة عشرة، وبدأت والدتي تُنفذ ما كان والدي يريده، وهو أن ألتحق بإحدى الوظائف الحكومية حين أصبح في الثامنة عشرة، ولم أشأ أن أرفض طلبها هذا، ولكن شاءت الأقدار أن أصاب بنزلة شعبية تطورت بشكل خطير مما دعى الطبيب إلى توقيفي عاماً كاملاً عن الدراسة، وفي هذه المدة التي قضيتها في البيت حدثت والدتي عن هوايتي الجديدة وطلبت من

الطبيب إقناعها بأن تسمح بالتحاقي بمعهد الفنون لأن هذا لا يتطلب مني أي مجهود مضن فاقتنعت..

* توفيت والدتي بعد عامين من عودتي إلى معهد الفنون، وأصبحت وحدي في معترك الحياة، وأنا لم أزل فتى مراهقاً لا أملك ما يقيني شر العوز بعد أن تبدد المال الذي خلفه والدي خلال الأربعة أشهر التي قضتها والدتي وهي على فراش المرض..

* كان عليَّ أن أعمل لأعيش، فذهبت إلى فينا وكان سلاحي الوحيد الإرادة والتصميم على مواجهة المصير، لقد شق والدي طريقه في الحياة ووصل إلى القمة التي وضع نصب عينيه لوصولها، وسأشق أنا طريقي بنفسي ولكن لن أقف عند حد الوظيفة مهما كلفني ذلك، هذا ما كنت أردده ومصمم عليه.



«٢»

السنوات القاسية

ويتحدث «هتلر» عن السنوات القاسية التي واجهها في صباه قائلاً:.

* كانت خيبتي كبيرة حين رسبت في امتحان أكاديمية الفنون، قسم التصوير بالزيت ولدى سؤالي عن السبب في رسوبي، قال لي عميد الأكاديمية أن الرسوم التي قدمتها تؤهلني إلى الدخول لفرع هندسة البناء وشجعني على الالتحاق بهذا القسم.

* وصلت فينا بعد وفاة والدتي وقلبي عامر بالإيمان، وما استسلمت لليأس بل صممت وأنا أدخل المدينة الكبيرة على الالتحاق بقسم هندسة المعمار مهما يكن الثمن ولكن كان عليَّ أن أعمل لأعيش بالإضافة إلى الدرس والتحصيل، وأني لأشكر اليوم العناية الإلهية التي وضعتني أمام قسوة الدهر وأنا في مستهل عمري وجعلتني أذوق مرارة العوز في عالم المحرومين مما أتاح لي أنا البورجوازي

النشأة أن أعيش مع مَنْ ناضلت من أجلهم فيما بعد، وفي سبيل رفع مستواهم.

* في فينا المدينة اللاهية، قضيت أشقى أيام العمر، فقد عشت خمس سنوات لم أذق خلالها طعما للراحة، فقد بدأت عملي كمعاون بناء، ثم كدهان لأحصل قوتي اليومي، وآمن شر الجوع، هذا الزميل الذي كان يلازمني ويشاطرني في كل شيء، فإذا اشتريت كتابا وقف الجوع ببابي يوماً كاملاً، وإذا حضرت حفلة موسيقية أو شاهدت مسرحية لازمني الجوع يومين، وكان الكتاب صديقي الوفي، وبفضل المطالعة توسعت معلوماتي وتبلورت آرائي مع مرور الزمن، ثم رحت أدون نظرياتي الخاصة التي اتخذت منها في المستقبل أسس العمل.

* كانت فينا في مطلع القرن العشرين، مدينة تمزقها المشاكل الاجتماعية، فيها يتجاوز الثراء والفقر، العظمة والضعة، والمعرفة والجهل، وكانت فينا البلد الوحيد الذي يمكن للدارس أن يراقب ويدرس المسألة الاجتماعية، وككل غريب كنت أسعى في طلب العيش بعرق الجبين، فقد تحررت من الكبرياء ومركبات النقص والخوف من الشامتين، وذلك يقينا مني بأن العمل مهما كان نوعه فإنه يشرف العامل، وسرعان ما أدركت أن العثور على عمل أسهل من الاحتفاظ به، وأن خيبة الأمل تنتظر الذين يهجرون القرية و يهبطون

إلى العاصمة في طلب العيش الهنىء الهين، فالقروي يترك قريته إلى المدينة ويدخل عالماً مجهولاً، وليس لديه من المال غير القليل، فإذا وجد عملاً فسرعان ما يفقده، فيلجأ إلى معونة صندوق النقابة لبضعة أيام أو بضعة أسابيع ومتى تنتهي المدة لا يبقى أمامه إلا العمل بأجر قليل، أو العودة إلى قريته فإذا أبت عليه كبرياؤه أن يعود إلى قريته وسُدت بوجهه أبواب العمل لا يلبث أن يألف البطالة ويصبح آلة طيعة بأيدي المحرضين المشاغبين الداعين إلى الإضراب وتقويض دعائم الاقتصاد القومي ومعالم الدولة والحضارة.

* **ويواصل هتلر حديثه قائلاً:.**

* لقد لمست الأخطار التي كانت تتآمر على الأمة الألمانية في النمسا وهما خطران كبيران، الماركسية واليهودية.

* لقد روعني البؤس المادي المسيطر على الشعب، كما روعني انخفاض مستواه الأخلاقي، فقد لاحظت فقدان الشعور بالواجب بين العمال والصناع، فرب العائلة يهمل شؤون بيته ولا يعني بتربية أولاده لينصرف إلى البحث عن قوت يومه، وكان انعدام التربية البيئية في مجتمع متفسخ كالمجتمع النمسوي يؤدي بالتالي إلى تفكك الروابط بين الآباء والأبناء والتي تربط بالتالي العائلة إلى الدولة علماً بأن

الفقر يولد الجهل والمرض، ومتى اجتمعت هذه العوامل الثلاث يفقد الشعب ثقته بالدولة ويموت الشعور الوطني في نفوس الشعب.

* إن تحويل الشعب إلى أمة خلاقة يفرض قيام مجتمع سليم يعمل على تنشئة المواطن تنشئة وطنية فلا يمكن أن يشعر بالاعتزاز بالوطن مَنْ لا يتعلم في البيت أو في المدرسة حُب الوطن ويقدر أمجاد وطنه في ميادين الفكر والسياسة والاقتصاد، إن الإنسان لا يكافح إلا من أجل ما يُحب، ولا يُحب وطنه ويقدره وهو يجهل تاريخه ولا يشعر بنفس الوقت بالطمأنينة وهناءة العيش.

* وفي عام 1909م طرأ على وضعي بعض التحسن، فقد أصبحت أعمل لحسابي الخاص كرسام هندسي، وفي أوقات الفراغ كنت أكب على الدراسة والمطالعة وخاصة على دراسة الوضع السياسي في البلاد، وما تتركه التيارات العقائدية والفكرية من أثر على مقدرات الدولة النمساوية التي كانت مهددة بالانهيار.

هتلر والحزب الاشتراكي الديمقراطي

*** يقول هتلر عن الحزب الاشتراكي الديمقراطي:.**

قبل دراستي للحركة الاشتراكية الديمقراطية، كان لديّ فكرة غامضة عن هذه الحركة ومنشأها وأهدافها وأساليبها، وكنت أتابع بعطف كفاحها في سبيل الدستور، يقينا مني أن تسليم السلطات بهذا المطلب من شأنه أن يضعف من نظام آل هابسبورغ، ذلك النظام الذي أكرهه كرها شديداً لأنه يحاول إخماد الروح الجرمانية في صدور عشرة ملايين من النمساويين، وبزوال هذا النظام يتحرر الشعب النمسوي وتزول العقبات الرئيسية التي تعترض تحقيق ذلك وانضمام الشعب الواحد إلى الوطن الواحد..

* ومما زاد من عطفي على الاشتراكية الديمقراطية اعتقادي بأنها تعمل من أجل الطبقة الكادحة كي ترفع من مستواهم، وبقيت على هذا الاعتقاد إلى أن بلغت السابعة عشرة، وبدأت أتفهم خطورة الحركة النقابية في البلاد على ضوء التظاهرات

الشعبية والإضرابات، وقد حضرت أكثر من اجتماع واستمعت إلى قادة الحركة يخطبون في الجماهير، وكان في نيتي الانضمام إلى الحزب الاشتراكي الديمقراطي، ولكن سرعان ما تكشفت لي حقيقة الاشتراكية الديمقراطية ومراميها البعيدة فهي ضد الأمة لأنها كانت من صُنع الطبقات الرأسمالية، وضد الوطن لأنها أداة البورجوازية لاستغلال الطبقة الكادحة، وضد الشرائع لأنها أداة بيد السلطة الحاكمة تستخدمها لإرهاب البروليتاريا، وضد المدرسة المُعدة لتنشئة الأرقاء وضحايا الحروب التي تشنها الرأسمالية، وضد الدين لأنه وسيلة لتخدير الشعب وإضعافه ليستعبده المستغلين إلى الأبد..

* وكنت أثناء حضوري لهذه الاجتماعات أحاول أن لا أتكلم ولكن استرسال الخطباء في تهديم كل ما هو سام ونبيل أخرجني عن صمتي، فأصبحت أدخل معهم في جدل طويل لم تتسع له صدورهم، فحرضوا عليَّ نفر من المتعصبين فآثرت عدم الحضور إلى اجتماعاتهم وأنا أشفق لحال الجمهور الذي يتلاعبون به ويتصرفون بمقدراته حسب ما يتفق مع مصالحهم.

* لقد أدركت وأنا أتابع الحركة الاشتراكية الديمقراطية أن زمام الأمر هو في متناول القوى، وأدركت كذلك أن العنف والإرهاب هو سلاح الاشتراكية الديمقراطية وأن طريقها في محاربة خصومها

تقوم على تشويه سمعتهم بجملة من التشنييع تحطم أعصابهم، وقد عجبت لعدم وجود حزب يتبع نفس الأساليب من العنف والإرهاب وبذلك يقطع الطريق على الاشتراكية الديمقراطية..

* أما موقف البورجوازية فقد كان موقفاً لا مبالياً من مطالب العمال التي كانت لهم مطالب معقولة ومشروعة، مما جعل الحركة الاشتراكية الديمقراطية تستغل نقمة البروليتاريا على الأوضاع الراهنة، وتستغله كسلاح ماضي تشهره في وجه خصومها...

ويواصل هتلر حديثه قائلاً:.

* في البداية كانت الحركة النقابية تهدف إلى تنظيم جهود العمال للمطالبة بحقوقهم ورفع مستواهم وبقيت بعيدة عن السياسة والأحزاب إلى أن دفعت بها البورجوازية إلى المعترك السياسي برفضها الاستجابة إلى مطالب العمال الحقة، وفي هذا الوقت كانت الاشتراكية الديمقراطية بانتظار الفرصة المناسبة، فتبنت مطالب العمال والنقابات، بينما كانت البورجوازية على العكس تعمل على حمل السلطات على حل النقابات بحجة عدم شرعيتها وتنافيها مع فكرة الوطن..

* كانت أفدح أخطاء البورجوازية عندما اعتبرت الحركة النقابية

منافية لفكرة الوطن، لأن الحركة النقابية أهدافها الدفاع عن مصالح العمال، ولا تكون إلا حركة وطنية يجب تشجيعها ما دام هناك أرباب عمل لا يعرفون العدل والإنصاف، ولا يجوز أن تنكر على عمالهم ومستخدميهم حق الدفاع عن حقوقهم ولا يمكن للعامل منفرداً الوقوف في وجه رب العمل، فالنقابة هي التي تتولى رعاية مصلحته والدفاع عن حقوقه.

* وقد بدأت الحركة النقابية تتحول عن أهدافها الأساسية في أواخر القرن الماضي فاحتضنتها الاشتراكية الديمقراطية لتحولها إلى أداة ضغط في نضالها الطبقي وبذلك يتم لها تقويض دعائم الاقتصاد وبالتالي تقويض دعائم الدولة، فلما أصبحت النقابات في قبضة الاشتراكيين زال اهتمامهم برفع مستوى البروليتاريا لأنهم اكتشفوا أنهم لو استمروا بذلك فإن انتهاء بؤس الطبقة الكادحة لن يكون في مصلحتهم، لأن زوال أسباب التذمر سيبعدهم عن السياسة، فيفقد الاشتراكيون بذلك جماهير المناضلين الذين عودوهم الرضوخ والانقياد لهم.

هتلر ومفتاح الاشتراكية واليهود

*** يواصل هتلر حديثه عن الاشتراكية فيقول:.**

* بعد أن تكشفت لي حقيقة الاشتراكية الديمقراطية، انكببت على دراسة نظريات قادة هذه الحركة، فوجدت نفسي أمام عقيدة مبنية على الحقد والأنانية، ويعني انتصارها هزيمة للبشرية، وما لبثت أن اكتشفت الصلات الوثيقة بين هذه العقيدة الخطرة والمبادئ التي يدعو إليها اليهود، وأدركت مع الأيام أن أهداف الحركة الاشتراكية الديمقراطية هي نفسها أهداف اليهود كشعب واليهودية كدين، والصهيونية كحركة سياسية قومية، ففي حداثتي كنت أعتبر يهود بلادي مواطنين، وكنت لا أعتبر الخلاف في الدين خلافاً، حتى أني وبخت صديقا لي لإهانته أحد التلاميذ اليهود، وظلت هذه نظرتي إلى اليهود حتى انتقلت إلى «فينا»، فبرزت أمامي المسألة اليهودية في زحمة المسائل التي كانت تواجه النمسا حكومة وشعبا، وقد تبينت لي هذه المسألة من خلال حملات الصحف المعادية للسامية، وكنت أعتقد أن هذه الحملات كانت نتيجة للتعصب الأعمى، وكانت

الصحف التي تهاجم اليهود قليلة الانتشار والصحف التي تتولى الرد عليها كانت من الصحف الكبرى، وكان أسلوبها الرصين يلاقي في نفسي وقعاً حسناً، ولكن سرعان ما ضايقني تزلفها الشديد للسلطات وحملاتها العنيفة على الرايخ والإمبراطور غليوم الثاني الذي كنت معجباً به لتزويده ألمانيا بأسطول بحري من الطراز الأول، كما هالني من الصحافة الكبرى عطفها على فرنسا وإعجابها بها ونعتها إياها بالأمة المتمدنة وكنت أتساءل لمصلحة مَنْ تعمل هذه الصحف ومَنْ هم موجهيها؟ فجاء الجواب في الوقت الذي تكشفت لي فيه اليهودية على حقيقتها.

*** ويواصل هتلر حديثه عن اليهودية قائلاً:.**

كنت أعتبر اليهود مواطنين لهم ما لنا وعليهم ما علينا، ولكن اختلاطي بأعداء السامية من مفكرين وساسة جعلتني أتحفظ في الحكم على أعداء اليهود، وما لبثت أن أصبحت من المهتمين بالمسألة اليهودية بعد أن لمست بنفسي تكتل الإسرائيليين وتجمعهم في حي واحد من أحياء «فينا»، ومحافظتهم الشديدة على تقاليدهم وعاداتهم وطقوسهم، ومما زاد اهتمامي بمسألة ظهور الحركة الصهيونية وانقسام يهود «فينا» إلى قسمين، قسم يؤيد الحركة

الجديدة ويدعو لها، وقسم يشجبها، وقد أطلق خصوم الصهيونية على أنفسهم اسم «اليهود الأحرار» إلا أن انقسامهم هذا لم يكن إلا من باب التمويه فتأكدت أن انقسامهم مصطنع، وأنهم يلعبون لعبتهم في النمسا وفي العالم كله، وهي لعبة قذرة تعتمد على الكذب والرياء مما يتنافى والطهارة الخلقية، طهارة الذيل التي يدعيها اليهود.

* وطهارة الذيل هذه، وكل طهارة أخرى يدعيها اليهود هي ذات طابع خاص، فقذارتهم كانت تصدم النظر منذ أن تقع العين على يهودي وكنت اضطر إلى سد أنفي كل مرة ألتقي بأحد لابسي القفطان لأن الرائحة التي تنبعث منهم تبعث على القرف، ولكن قذارتهم الجسدية ليست شيئاً يذكر بالنسبة إلى قذارتهم النفسية وقذارة نفوسهم، فقد أثبتت لي الأيام أن ما من عمل مخالف للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد، واستطعت أن ألمس مدى تأثير هذا «الشعب المختار» في تسميم أفكار الشعب وتخديره وشل حيويته، فقد امتدت أصابع الأخطبوط اليهودي إلى جميع الميادين وفرض سيطرته عليها، وأصبح هذا التغلغل كالطاعون الأسود بل أشد منه فتكا، إذ أن تسعة أعشار المؤلفات والنشرات والمسرحيات واللوحات الفنية التي تدعو إلى الإباحية المطلقة وللماركسية هي من صُنع اليهود، أما الصحف الكبرى التي أعجبت بها وبرصانتها فكان معظم

محرريها وموجهيها من أبناء هذا «الشعب المختار» وشعرت بعد معرفتي بالحقيقة مدى تأثير اليهود في توجيه الرأي العام وذلك بالنظريات التي تتناسب ومصالحهم الشخصية البعيدة الهدف، فالنقد المسرحي في الصحف التي كان يهيمن أو حتى يشارك في تحريرها يهود يرفع من شأن الممثلين اليهود والمؤلفين المسرحيين ويحط بالتالي من قدر زملائهم الألمان، والمقالات السياسية التي كانت تمجد «بال هابسبورغ» وتكيل المدح لفرنسا كانت بنفس الوقت تهاجم غليوم الثاني وحكومته.

ويواصل «هتلر» حديثه عن اليهود في كتابه كفاحي قائلاً:.

❋ ومما زاد من نقمتي على اليهود تكالبهم على جمع المال بجميع السُبل الملتوية، وقد لمست الحقائق التي لا تخطر ببال للدور الذي يمثله اليهود في ترويج سوق الدعارة والإتجار بالرقيق الأبيض، هذا الدور الذي يؤديه اليهود بمهارة لم ينتبه إلى خطورته الشعب الألماني إلا في الحرب العالمية الكبرى «يقصد الحرب العالمية الأولى»، أما أنا فقد شعرت بالقرف حين اكتشفت أن اليهودي، هذا المخلوق الوديع هو الذي يستثمر البغاء السري والعلني ويحوله إلى تجارة رابحة.

❋ انصرفت منذ ذلك الحين إلى جمع المعلومات والأدلة على جرائم

اليهود بحق الوطن والمجتمع، وكنت أتابع نشاطاتهم في شتى الميادين، وقد اصطدمت بهم في أمكنة لم يخطر لي أنهم فيها، فقد ظهر لي أن اليهود يتزعمون الحركة الاشتراكية الديمقراطية، ويسيطرون على صحفها، ويوجهون نقاباتها، وكان معظم النواب الاشتراكيين الديمقراطيين يهود، ورؤساء النقابات جميعهم من اليهود، بما فيهم قادة ومدبري المؤامرات ورؤساء تحرير الصحف التابعة للحزب.

* وهكذا أصبح الحزب الكبير الذي يسيطر على مقدرات البلاد ألعوبة بيدي شعب أجنبي، لأن اليهودي لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون ألمانيا، وأخيرا وضعت يدي على الروح الشريرة التي تقعد بشعبنا عن التقدم.

* كانت الفترة القصيرة التي أمضيتها في «فينا» كافية لإقناعي أنه مهما استبدت الأوهام بالعمال وضللتهم الدعايات المغرضة فإنهم سيقتنعون مستقبلاً لو قُدِّر لرجل مخلص أن يأخذ على عاتقه مهمة تحريرهم من اليهود، وهذا ما بدأته ووفقت به إلى حد كبير، وعلى العكس لم أوفق ولو مرة واحدة لإقناع يهودي واحد بأنه على خطأ، وقد كنت من السذاجة بحيث رُحت أحاول إقناع بني صهيون بسخف المبادئ الماركسية، وسرعان ما أدركت أن أسلوبهم في الجدل يقوم على قواعد خاصة بهم وهو اعتمادهم في أول الجدال على بلاهة

خصمهم، فإذا لم يتمكنوا منه تظاهروا هم بالغباء فيستحيل على خصمهم أن يأخذ منهم أجوبة واضحة، أما إذا اضطر أحدهم إلى التسليم بوجهة نظر خصمه بوجود بعض الشهود فإنه يتجاهل في اليوم التالي ما كان من أمره ويتظاهر بالدهشة إذا ما جوبه بالشهود ويسترسل بالكذب ويزعم أنه أفحم خصمه بحجة الدامغة في اليوم الأسبق.

* ولم يكن العمال مسؤولين عن ما تعانيه البلاد من اضطرابات بل كانت المسؤولية ملقاة على عاتق الحكام الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء الاهتمام بمشاكل الشعب ووضع الحلول اللازمة لإزالة تلك المسببات.

* لقد عكفت على دراسة العقيدة الماركسية والبحث عن مصادرها وجذورها، وتتبع تطوراتها، وقد تساءلت مراراً: هل كان أصحاب هذه العقيدة يتوقعون لها هذا النجاح؟، وهل كانت لديهم فكرة عن نتائج نجاح الماركسية على المدى البعيد؟ أم كانوا ضحية الخطأ في التقدير؟ فإذا كان الأمر الثاني فإنه يجب على كل رجل أن يقف في وجه هذه الحركة المخيفة ويمنع تطورها وإذا كان الأمر الأول فلابد أن يكون زعماء هذا الوباء الذي يهدد الشعوب أبالسة حقيقيين، لأن العقل الذي تمكن من أن يضع تصميم فكرة لابد أن

يؤدي انتشارها في المستقبل إلى تدهور الحضارة و انهيارها وتحويل العالم إلى قفر، هذا العقل ليس بعقل إنسان ولكن عقل مسخ، في هذه الحالة يجب أن نكافح كفاحاً مريراً وبجميع الأسلحة التي يمكن للعقل البشري أن يصنعها بالإضافة إلى الذكاء والإرادة الحديدية، وقد توصلت نتيجة دراستي للمسألة اليهودية إلى تفهم الحركة الماركسية دون عناء، ذلك أن اليهود هم الذين وضعوا مبادئها وتولوا الدعاية لها، وعرفوا كيف يستغلون جهود الذين كانوا ضحيتها، كذلك رجعت إلى تاريخ الشعب اليهودي عبر الأجيال وما كان له من تأثير في توجيه البشر، فهالتني شدة التأثيرات وتساءلت بقلق: هل يقضي القدر بأن يكون لليهود النصر النهائي؟

* إن العقيدة اليهودية المعبر عنها في التعاليم الماركسية لا تعترف بالمبدأ الارستقراطي وتضع التفوق العددي محل القوة والمقدرة، وبالتالي تنكر قيمة الإنسان الفردية كما تنكر أهمية الكيان القومي والعنصري مجردة البشرية من العناصر التي لابد من وجودها لاستمرارها وبقاء حضارتها، فإذا اعتمدت هذه العقيدة كأساس للحياة فإنها ستقوض كل نظام وتعود بالجنس البشري إلى عهد الفوضى واختلاط العناصر مما سيؤدي إلى انقراض البشر، وإذا قُدر لليهودي من خلال إيمانه الماركسي أن يتغلب على شعوب

هذا العالم فلن يبقى للبشر من أثر على سطح الأرض، إن الأبدية ستنتقم من الذين يخالفون أحكامها، ولذلك سأتصرف حسب مشيئة الخالق، لأني بدفاعي عن نفسي ضد اليهود إنما أناضل للدفاع عن مشيئة الخالق وعمله..

الفصل الثالث

هتلر وملاحظاته السياسية

في هذا الفصل نعرض لملاحظات هتلر السياسية كما وردت في كتابه «كفاحي»...

(١)
ملاحظات هتلر السياسية

يقول «هتلر» في كتابه كفاحي عن أهم ملاحظاته السياسية التي لاحظها من خلال معايشته للأحداث السياسية ما يلي:.

* علمتني التجارب أنه يجدر بالإنسان ألا ينزل معترك السياسة الفعلية قبل أن يبلغ الثلاثين من عمره، فيكون قد تجهز بالسلاح الكامل من معرفة واختبار وحنكة تتيح له تكوين رأيه الشخصي في جميع القضايا التي تشغل الرأي العام، فإن لم يفعل سيجد نفسه بعد حين مجبرا إلى تبديل مواقفه حيال بعض الأمور الجوهرية أو سيضطر إلى الاستمرار في مواقفه مع اقتناعه بأنها ليست بالمواقف السليمة، ففي الحالة الأولى سيدفع الثمن نتيجة تسرعه وهو خسارة أنصاره الذين سيصبحون حيارى حيال هذا التبدل المفاجئ الذي لم يجدوا له من تعليل، أما الحالة الثانية وهي حالة شائعة، فكلما ضعف إيمان الزعيم بعقيدته، كلما بدت عقيدته فارغة تافهة، وكلما

استرسل في التمويه على مؤيديه وأنصاره كلما ازدادت مطالبه منهم، وينتهي به الحال إلى التضحية بما تبقى له من زعامة وينقلب سياسياً محترفاً، وهذا النوع من الناس ليس له إلا عقيدة واحدة هي انعدام العقيدة مع وقاحة مثيرة للاشمئزاز، ناهيك عن التفنن في الكذب، وإذا شاءت الظروف أن يصل أحد هذا النوع من الرجال إلى البرلمان فإن أعماله البطولية ستكون النضال للإبقاء على نفسه، ويصبح عدداً شخصيا لكل رجل يتجه إلى العمل السياسي، ويكافح كل حركة سياسية تبرز شخصية جديدة إلى المسرح وذلك خوفاً على نفسه من الزوال.

* إن الرجل يتعلم كثيرا بعد بلوغه الثلاثين من عمره، وإن ما يتعلمه يكون مكملاً لعلومه السابقة، فلا يترتب عليه زعزعة دعائم معتقداته السياسية، وهكذا لن يضطر أنصاره إلى كبت الألم في نفوسهم بأن ما تعلموه منه في الماضي كان بعيداً عن الصواب، فزيادة معارف الزعيم واتساع علومه يقدمان له ضمانات جديدة تبعث في نفوسهم الطمأنينة فتزداد ثقتهم به.

* إن زعيما يضطر إلى التخلي عن معتقداته السابقة سيضطر محافظة منه على شرفه وكرامته أن يمتنع عن تعاطي السياسة لأنه قد يقع في نفس الخطأ في نظرته إلى الأمور ولا يجوز له أن يطمع

في كسب ثقة مواطنيه ومؤيديه، ولكن الناس في أيامنا هذه قلما يفكرون بذلك..

*** ثم يتحدث «هتلر» عن المنازعات الداخلية بين ألمانيا والنمسا فيقول:.**

بالرغم من أن المنازعات الداخلية قد هزت البلاد فقد بقى وجه «فينا» الجميل هو كل ما يراه العالم الخارجي من النمسا بوجه عام وألمانيا بوجه خاص، وقد قدر للعاصمة أن يصل إليها محافظ عبقري جدد شبابها هو الدكتور «لوجر» هذا الألماني العظيم الذي أنجبته أمه تعرف كيف تبعث الحياة حيثما وجدت.

* ولم يكن الدكتور «لوجر» من رجال الدولة العظام ومع ذلك فقد استطاع أن يصنع المعجزات في أكثر من حقل من حقول الاقتصاد والسياسة والفن وغيرها، وأثبت بالفعل أنه رجل دولة أكثر من أي دبلوماسي يدعي هذه الصفة.

* ولئن تكن شبه الأمة التي تدعى النمسا قد انهارت فلا يعني هذا أن العنصر الألماني غير كفؤ على صعيد السياسة، إذ كيف يستطيع عشرة ملايين ألماني أن يمنعوا تدهور دولة تضم خمسين مليونا؟ ولقد كان للنمسوي الألماني أفكار واسعة فهو قد اعتاد على العيش ضمن إمبراطورية كبيرة مما يلقي عليه واجبات معينة، وما

برح يتطلع إلى حدود الإمبراطورية الألمانية رغما عن انفصاله نهائياً عن الوطن الأم، وعرف كيف يحافظ على ألمانيا ما انتزعه أجداده بعد كفاحهم المرير من الشرق ولم تقف جهود النمسويين الألمان عند هذا الحد بل بقيت النخبة منهم تتجه بأنظارها وأفكارها إلى الوطن الألماني الكبير.

* والنمسوي الألماني يمتاز عن سائر المواطنين بسعة أفقه، فنشاطه كان يشمل عموم الإمبراطورية في ميادين الاقتصاد والتجارة وكان يستأثر لوحده بالمشاريع الضخمة، وكان لوقت ما.. هو الأول في التعامل مع الخارج وكانت الدولة بمعظمها سياسيا في قبضة النمسوي الألماني وكانت خدمة العلم تبعده عن منطقته، فيذهب ليؤدي واجبه كجندي في البوسنة والهرسك أو «غاليسيا» تحت قيادة ضباط ألمان لأن المُلاك كان في معظمه ألمانيا، ومثله مُلاك الموظفين الكبار، وبقى النمسويين الألمان متفوقين في جميع ميادين الفن كالموسيقى والرسم والتصوير والهندسة والنحت، وكان الألماني محور السياسة الخارجية، عدا قلة من الهنغاريين، وبالرغم من كل هذا فقد كانت جميع المحاولات لإنقاذ الإمبراطورية تفشل لعدم توافر الشرط الأساسي للنجاح.

* كانت الطريقة الوحيدة للتغلب على النزعة الاستقلالية

لمختلف الشعوب التي تؤلف الدولة النمساوية هي تنظيم البلاد على أساس المركزية، وقد خطرت هذه الفكرة في أذهـان المسؤولين ولكنهم كانوا يعتقدون أن تنفيذها كان مستحيلاً، وكان اعتقادهم مبنيا على اختلاف المعطيات الداخلية للدولة عما كانت عليه معطيات الرايخ الألماني عندما حققه «بسمارك»، ففي ألمانيا لم يكن من عقبات سوى التقاليد السياسية وكان على الداعين للوحدة أن يتغلبوا على تلك التقاليد فقط، إذ أن الرايخ يضم شعبا واحداً باستثناء جماعات صغيرة من الأجانب، على العكس من النمسا حين يتلاشى في الأقطار التي تؤلف المملكة باستثناء هنغاريا الحنين إلى أمجاد الماضي، غير أن إثارة موضوع القوميات قد تكشف في تلك الأقطار عن نزعة قومية صريحة وجدت مَنْ يشجعها في الدول التي ظهرت حول النمسا، والتي تنتمي بشعوبها إلى نفس العناصر التي ينتمي إليها أكثر النمسويين، مما جعل تجاذب الشعوب إلى جيرانها يخضع لعدة عوامل كانت غير موجودة بينهم وبين مواطنيهم النمسويين الألمان، وقد تأثرت «فينا» أيضا بتلك النزعة الجديدة ولم تقدر مع مرور الأيام على مواصلة السعي للحفاظ على ميزاتها، لذلك وبعد أن أصبحت «بودابست» مدينة كبيرة، وجدت «فينا» نفسها تجاه منافسة لم تكن للحفاظ على الروابط بين النمسا وهنغاريا، بل

على العكس كانت لتكريس الانفصال، ولم تلبث «براغ» و «لامبرغ» و«لايباخ» أن حذت حذو بودابست لتصبح عواصم لبلدان ودول تتميز بطابع خاص، ومراكز فكرية لشعوب لها طابعها الخاص وبالتالي كان لابد أن يأتي اليوم الذي تعم فيه النزعات الاستقلالية عند شعوب المملكة فتكون بذلك نهاية النمسا.

* ويواصل هتلر خواطره السياسية في كتابه «كفاحي» قائلاً وبعد وفاة فرانسوا جوزيف الثاني بدأ هذا التطور جليا بسبب ما ذكرناه سابقا وإلى موقف الملكية نفسها وإلى تقلبات الموقف الدولي، وقد كان ممكنا مواجهة هذا التطور لو اعتمد مَنْ يعنيهم الأمر المركزية الحازمة، بيد أن تنفيذ المركزية لابد أن يسبقه تدبير ممهد كفرض مبدأ اللغة الوحيدة للدولة، وتقوية الشعور الوطني، وتجهيز الإدارة الحكومية بالوسائل الحديثة التي لا يمكن للدولة أن تستمر بدونها، مع العلم أن خلق الشعور الوطني لابد له من سنين طويلة لينمو ويزدهر..

* لقد أصبح بقاء دولة النمسا الهرمة مرتبطا بقوة حكامها لأنها كانت تفتقر إلى الأسس الصحيحة التي تقوم عليها الدولة وهي قوة المنشأ القومي، ذلك أن الدولة القومية تبقى قادرة على الاستمرار رغم مساوئ الحكم والإدارة، وهذا لن يكون شأن دولة تتألف من عدة

شعوب لا تربطها ببعض وحدة الدم بل تشدها القبضة الواحدة، فإذا تراخت تلك القبضة انهارت الدولة، إذا لابد من أن يكون للدولة من طبيعة تكوينها ما يوفر لها عناصر الاستمرار.

* وقد كانت غلطة «آل هابسبورغ» أنهم لم يدركوا هذه الحقيقة التاريخية ولكن فرنسوا جوزيف الثاني أدرك الخطر الذي يهدد الإمبراطورية وبذل خلال حكمه الذي دام عشر سنوات جهده لإصلاح ما أفسده آل هابسبورغ ولكنه توفي قبل إتمام مهمته وخلق المعجزة التي كانت ستنقذ الإمبراطورية من الانهيار..

ويختتم هتلر خواطره السياسية التي دونها في كتابه كفاحي قائلاً:.

* عندما اضطرمت نيران الثورة في أوروبا واجتاحت النمسا لم يكن الوضع الاجتماعي من مسبباتها، بل النزعات القومية، وكانت الثورة في النمسا بداية القتال بين القوميات المختلفة، أما بالنسبة للنمسويين الألمان فقد ساهموا في الحركة بكل قواهم وساعدوا على إيقاظ الديمقراطية الغربية التي انتزعت منهم أسس كيانهم..

* وجاء النظام البرلماني قبل إيجاد اللغة الموجودة للدولة فسدد بذلك ضربة قوية للنفوذ الألماني، وبدأت الدولة تتفكك وتنهار.

(٢)
النظام البرلماني «الريخترات»

*** يقول هتلر عن النظام البرلماني في النمسا:.**

لقد كان البرلمان أو «الرايخترات» من جملة الأسباب التي عجلت بانهيار المملكة النمسوية، فقد اقتبس النمسويون هذا النظام من إنجلترا دون أن يعدلوه مع ما ينسجم مع واقعهم فقام في «فينا» مجلسان للبرلمان، مجلس النواب ومجلس الأعيان..

*** ويتذكر هتلر أول مرة دخل فيها دار البرلمان قائلاً:.**

كنت في التاسعة عشرة من عمري عندما دخلت لأول مرة دار البرلمان وقد تملكني الشعور الغريب بأن هذا النظام فاشل في النمسا مع أنني لم أكن ضد النظام البرلماني كمؤسسة، فقد كان هذا النظام من أفضل الأنظمة لبلاد كالنمسا التي لم تجن من النظام الملكي سوى الويلات.

* لقد كان اقتناعي بأفضلية هذا النظام يعود إلى إعجابي

الشديد بالبرلمان الإنجليزي الذي كنت أتابع مناقشات مجلس العموم في الصحف، ولكن حضوري لجلسات البرلمان النمسوي جعلني أغير نظرتي إلى هذه المؤسسة لأن الفرق كان كبيراً بين عقلية الإنجليز وعقلية النمسويين وقد زاد من كرهي للنظام البرلماني النمسوي تضاؤل النفوذ الألماني فحتى نظام الانتخاب السري العام كان في البرلمان أكثرية ألمانية بسيطة ولم تلبث أن زالت مما أدى إلى انعدام الطابع الجرماني للنمسا.

* بعد اكتشافي لهذه الحقيقة كرهت هذا المجلس النيابي الذي يكن العداء لكل ما هو ألماني، فصرت أدخل البرلمان ولا أسمع إلا ما يثير كرهي ونقمتي...

* عندما دخلت البرلمان وشاهدت أول جلسة نيابية، كان هناك بضع مئات من ممثلي الشعب يناقشون إحدى القضايا الاقتصادية، وقد لاحظت أن الخطب لم تكن ذات قيمة مع أنني لم أفهم من أقوالهم شيئا لأنهم كانوا يتكلمون بالسلافية، ثم رأيت منظراً مضحكا للغاية، فقد رأيت العديد من ممثلي الشعب يضربون الطاولات بقبضاتهم ويلوحون بأيديهم مهددين وتعالى الصراخ وانتشرت الفوضى...

*** ويواصل هتلر حديثه عن البرلمان النمساوي قائلاً:.**

وشهدت أيضا جلسة لاحقة بعد أسابيع فإذا المجلس لا يضم أكثر من ثلاثين بالمائة من النواب، نصفهم يغط في النوم، والباقي يستمع إلى الخطباء وهم يتمطون ويتثاءبون والرئيس ينظر إلى الجميع بسأم.

* وتكررت زيارتي للبرلمان ومع الأيام تغير رأيي في النظام البرلماني وانصبت نقمتي على النظام بعد أن كانت منصبة على البرلمان النمسوي بسبب خلوه من الأكثرية الألمانية، وهكذا أصبحت أكون الفكرة الصحيحة عن نظام برلماني «أنبل» كمثال للحكم الصالح، واتخذ هذا النظام في ذهني شكلاً ثابتاً لم يطرأ عليه أي تغيير جوهري.

* لقد أدركت أن الديمقراطية في أوروبا الغربية في وضعها الحالي هي بداية الماركسية التي لا يمكن أن تكون بدون النظام البرلماني إذ أن الديمقراطية هي الأرض الخصبة التي يمكن لجرثومة الماركسية أن تنمو وتعيش عليها، وينتشر وباؤها كوباء الطاعون، فنجد أن هذه الجرثومة صديقا مخلصا في البرلماني، هذا الطرح الذي لا أثر فيه لنفحة من نفحات الله.

* شكرت القدر للفرصة التي أتاحها لي من دراسة لهذه القضية في «فينا» لأني لو كنت في ألمانيا في ذلك الوقت لما كنت صدفت

أية صعوبة في اتخاذ أي موقف منها، فلو اكتشفت عيوب هذا النظام البرلماني في برلين قبل أن اكتشفته في «فينا» لكنت اعتمدت الاتجاه المعاكس أي الأخذ بالرأي القائل «إن مصير شعب الرايخ رهن بتقوية مركز الإمبراطور».

* لم يكن هناك من خطر في أخذ هذه الفكرة وتطبيقها في النمسا لأن آل هابسبورغ ليسوا بأحسن من النظام البرلماني مع علمي أن إلغاء النظام البرلماني يعني بالتالي إطلاق يد آل هابسبورغ في الحكم وهو يعتبر أكبر كارثة وطنية.

*** ويواصل «هتلر» حديثه قائلاً:.**

بالرغم من صغر سني فقد رحت أدرس هذه القضية محاولاً أن أجد الحلول المناسبة وقد جعلني أطيل التفكير صعوبة تحديد المسؤولية كلما لزم الأمر لتحديد المسؤولية عن أي تصرف أو تدبير ينافي المصلحة العامة، فالبرلمان يتخذ مقرراته مهما ترتب عليها من نتائج سيئة بدون أن تجد مَنْ يتحمل مسؤولية هذه المقررات وبالتالي لا يمكن تحديد المسؤولية ومحاسبة أحد عليها، وهل يعتبر حل البرلمان تحملاً للمسؤولية، وأي معنى يبقى للمسؤولية إذا لم يتحملها شخص معين، وكيف يجوز اعتبار رئيس الحكومة مسؤولاً

عن مقررات أو أعمال فرضتها إرادة أشخاص عدة؟.

* إن مهمة الموجه تقوم على إقناع جمهور رؤوسه خاوية كقطيع الغنم، بفوائد مشروعة ليعود ويطلب موافقتهم عليه، ولا يهتم بوضع المشروع النافع بعد دراسته بدقة، وإذا فشل رجل الدولة في جذب الأكثرية، هذا الورم الخبيث الذي طغى على النظام البرلماني، فهل معنى ذلك فشله في الحكم؟.

* أليس العبقرية الخلاقة كالنصر على جمود الأكثرية؟ وأي السبل يمكن لرجل الدولة أن يسلكها حين يخفق في جذب الأكثرية إلى مشروعة؟، فهل يجوز له أن يترك القيام بالمهام والمشروعات التي يعتبرها ذات ضرورة ملحة أمام غباء مواطنيه وجمهوره؟ وهل يعتزل أم يبقى؟ وكيف يمكنه أن يجمع بين هذا الوضع الشاذ وبين ما يراه واجبا وطنياً بالإضافة إلى كونه عملاً شريفاً؟ وأين هو الحد الفاصل بين واجب رجل الدولة نحو مواطنيه وبين ما يدعي بموجبات الشرف والكرامة؟ أليس من واجبه أن يعلو عن الأساليب المتبعة التي تنزل به إلى مستوى محترفي السياسة؟. وحين ينزل إلى هذا المستوى يصبح ألعوبة بأيدي فريق من الرجال، ينفذ طلباتهم ويساير مصالحهم، ألا يترتب على مبدأ الأكثرية في النظام البرلماني القضاء على حصر المسؤولية برئيس؟ وهل هناك مَنْ يعتقد أن تقديم العالم

يمكن أن يكون نتيجة تفكير الأكثرية أم نتيجة دماغ رجل عبقري واحد؟ فعندما تتقدم سلطة الأكثرية على سلطة الفرد ويستعاض عن الرئيس بالعدد فمعنى ذلك التنكر للمبدأ الارستقراطي الطبيعي الذي يعطي الأمور إلى النخبة الممتازة أما المصائب والويلات التي يجرها النظام البرلماني، فإن قارئ الصحف اليهودية يجد صعوبة في أخذ الفكرة عنها إلا إذا اعتاد التفكير والحكم بدون أية تأثيرات خارجية من سواه..

* إن النظام البرلماني يفتح أمام محترفي السياسة المجال لإغراق الحياة السياسية بأحداث صغيرة تافهة، وقد تدعو هذه الحالة إلى أكثر من زعيم إلى ترك الحياة السياسية التي تصبح عبارة عن مساومات ومتاجرات بين الأكثرية البرلمانية والحاكم فهذا الأسلوب يلائم محترفي السياسة من أصحاب الرؤوس الجوفاء فيروق لهم ويأسرهم.

* إن سياسياً محترفاً منكوباً بكمية من الغباء ليس عليه أن يحسب كبير الحساب لعبء المسؤوليات نتيجة أعماله لأنه يعلم أن أيامه في ميدان السياسة أصبحت معدودة، ومن المعروف أن الأكثرية البرلمانية التي تمثل الثرثرة الفارغة تكره الرجل اللامع، والمجلس النيابي الخالي من الرجال الأكفاء ليجد العزاء في زعيم عادي يتولى

قيادته بحيث لا يكشف هذا الزعيم سخافة هذا المجلس وبالتالي سيكون الأمل أكبر أمام كل نائب للوصول في يوم من الأيام إلى مركز القيادة لهذا المجلس.

* وهناك ظاهرة خطيرة في الحياة البرلمانية وهي الجُبن الذي تكشفه تصرف معظم «زعمائنا» المزعومين، إن هذا الزعيم حين يدعو إلى اتخاذ مقررات هامة سيجد نفسه محظوظا حين تكون الأكثرية بجانبه، ويكفي أن ترى ولو مرة واحدة أحد لصوص السياسة يستجدي قبل اتخاذه قراراته ومقرراته وموافقة الأكثرية على هذه المقررات، وبذلك يكون قد جهز لنفسه عدداً كافياً من «الشركاء» حتى إذا جاء مَنْ يحاسبه على أعماله يهرب من كل مسؤولية.

* إن زعيماً يتهرب من المسؤولية بهذا الشكل الفاضح ويبحث عن مَنْ يعطيه لا يُعتبر رجلاً بل جباناً وحقيراً، والأمة التي يكون زعماؤها من هذا النوع لابد وأن تعاني أسوأ النتائج، إذ لن تجد مَنْ يتقدم ليُضحي بنفسه لإنقاذ أمته بخطوة جريئة، وهذه الخطوة لن تأتي من الأكثرية فهي تمثل الجبناء المغفلين، وإذا صح أن مائة دماغ أجوف لا تعادل عقلاً واحداً، فإن مائة جبان لا يصدر عنهم أي قرار بطولي.

(٣)
هتلر والرأي العام

*** يتحدث هتلر عن الرأي العام ومؤثراته فيقول:.**

لن أقف عند الطريقة التي يُجرى بها انتخاب ممثلي الأمة أو الأساليب التي يلجأون إليها للحصول على المراكز الغالية على قلوبهم فالشعب الذي لا يتحلى بوعي سياسي لا يأمل منه حُسن اختيار ممثليه في البرلمان.

* والرأي العام لا يعتمد على الخبرة الشخصية أو على معرفة الأشخاص، فهو يخضع للدعايات التي تسيطر عليه بدون أن يشعر، فالصحافة هي الموجة الوحيد وهي التي تنشئ الجمهور سياسياً بواسطة ما تنشره من أخبار، فهي مدرسة يتلقى فيها الجمهور علومه اليومية، وقد سنحت لي الظروف وأنا في «فينا» أن أختلط مع صانعي الآراء ومع ناشريها، فأدهشني سهولة الأسلوب الذي يمكن هؤلاء من أن يخلقوا تياراً معينا يوجهوا بواسطته الجمهور ولو تعارض مع مصالح الشعب وأمانيه، ففي أيام قليلة تتمكن الصحف من إسدال

الستار على القضايا الهامة التي لا يلبث الجمهور أن ينساها والعكس بالعكس.

* وهكذا نجد أن الدعايات في أكثر الأحيان يمكنها أن تقدم إلى الرأي العام أشخاصاً لا وزن لهم على أنهم أبطال الأمة وأملها فتوفر لهم جمهورا ضخما من المؤيدين، حتى ولو كانت سمعتهم الماضية ملوثة فالدعايات الصحفية تتمكن من محوها، أما إذا أرادت الصحافة محاربة رجل شريف فاليهود بسفالتهم المعروفة لا يتورعون عن وصمه بكل نقيصة حتى أنهم يصلون إلى انتقاد حياته الخاصة وفضح الأسرار العائلية الخاصة به، ومجال لم يجدوا شيئا يصمونه به، فإنهم يلجأوون إلى تلفيق الأخبار في الصحف آملين أن يعلق شيء في أذهان الناس.

* تلك هي العصابة التي تخلق الأخبار وتوجه الرأي العام الذي ينبثق منه البرلمانيون ممثلي الشعب..

* إن وصف المؤسسة البرلمانية وصفاً دقيقاً شاملاً يحتاج إلى بضعة مجلدات ولكن يكفي لتكوين الفكرة ممن عقم هذا النظام أن ننظر إلى ثمار نشاطاته ونتائج أعماله، ماذا يجري داخل البرلمان؟ ينتخب المواطنون عدداً معيناً من الرجال والنساء في بعض البلدان مثلا خمسمائة، وحسب النظام يكون لهم الحق كنواب الأمة أن

يتخذوا القرارات الحاسمة في شتى الميادين مما يجعل منهم في الحقيقة حكاماً لأنهم يسمون الحكومة التي ستتولى شؤون الدولة ظاهراً ولكنها لا تخطو خطوة واحدة قبل أن تستجدي الموافقة من المجلس، فكيف يجوز أن تتحمل الحكومة مسؤولية أعمالها ما دامت القرارات النهائية في يد البرلمان؟.

* إن الحكومة هي أداة التنفيذ لما يتخذه المجلس من مقررات ولا نقر بكفاءتها إلا حين نلمس تفوقها على الأكثرية البرلمانية أو استمالتهم إلى رأيها، ومهما يكن الأمر فإن استجداءها الموافقة من الأكثرية ينزل بها من مستوى الحكومة الحقيقية، أما إذا كانت أهدافها العمل الصالح فإن الأكثرية ستخذلها ولن تقوى على الصمود بمنطقها السليم وعملها الصالح.

* إن مساوئ هذا النظام تبدو واضحة، فالنواب يؤلفون مجموعة من المتناقضات متنافرة الاتجاهات، متضاربة النزعات، تقودهم عواطفهم ومصالحهم الشخصية ومصالح القوى التي تحركهم، وفي نفس الوقت لا يتحملون مسؤولية أعمالهم لأن النظام البرلماني يُلقى بتلك المسؤولية على غيرهم.

* **ويتساءل «هتلر» قائلاً:.**

كيف يمكن للشعب أن يطمئن إلى وضع مقدراته الاقتصادية بين يدي مجلس يضم أفراداً قلائل من حملة الشهادات الجامعية؟ وهذا ما ينطبق على سائر القضايا التي يدعي إليها المجلس، فالأكثرية التي ترجح الكفة مؤلفة من مجموعة من الجهلة تبقى هي نفسها مهما كانت صفة المواضيع المطروحة على المجلس، أليس من المضحك أن يحكم الجهلة في جميع القضايا السياسية لتضيع آراء النخبة في زحمة الصراخ والفوضى...

قد يقول قائل إن النائب يتقيد بتوجيه الحزب الذي ينتمي إليه مع العلم أن في الحزب البرلماني لجانا تضم خبراء في شتى الميادين، ولكن ما هي الفائدة من انتخاب خمسمائة نائب طالما أن بضعة عشر منهم فقط يفهمون ويعون ما هو مطروح أمامهم من مشاريع..

* إن نظامنا البرلماني بوضعه الراهن لا يهمه قيام مجلس من ذوي الكفاءات، بل يهمه جمع قطيع من الأصفار يسهل تحريكهم من وراء الستار بعيداً عن كل مسؤولية.

* إن هذا النظام لا يرضى به إلا مَنْ يخشون العمل في وضح النهار، ولا يمكن أن يثق به كل رجل حر مستقيم يتحمل المسؤولية ويقدرها، فلا عجب إذًا في أن يكون هذا النظام محبوباً من شعب ما برح يضع الخطط السرية والمشروعات البعيدة المدى في الزوايا

المظلمة، ترى مَنْ هو الذي يقدر مؤسسة لا تقل عنه وساخة وخبثاً غير اليهودي الذي يعمل في الظلام؟!.

* إن الفرق الكبير بين النظام البرلماني الديمقراطي في النمسا وبين الديمقراطية الألمانية، ففي ألمانيا يتحمل الرئيس مسؤولياته، والديمقراطية الألمانية لا تفسح المجال أمام الأكثرية للبت في الأمور، بل تترك الأمر إلى رجل واحد يقرر لوحده وينفذ ويتحمل وحده مسؤولية أعماله، وإذا قيل إنه من المستحيل وجود شخص يقبل بأن يتحمل أعباء المسؤوليات الجسام فالجواب أن الديمقراطية الألمانية ترفض أن يتصرف بمقدراتها السياسي المحترف والوصولي المنتهز، وقد قطعت الطريق أمام هذا النوع من السياسيين بعد أن حددت المسؤوليات بحيث لا يبقى في الحكم مكان للضعفاء أما إذا قدر لأحد الوصوليين أن يشق طريقه إلى سدة الحكم فسرعان ما ينكشف القناع عن وجهه ويصرخ في وجهه: - اخرج أيها الجبان الصعلوك فقد دنست المكان بوجودك.. ذلك أنه لا يدخل التاريخ إلا الأبطال.

* هذه كانت هي الفكرة التي كونتها بعد عامين من دراستي للوضع البرلماني في النمسا، لقد كان هذا النظام أحد الأسباب الرئيسية التي ساعدت على انهيار دولة آل هابسبورغ الهرمة، وهو

بإضعافه مركز العنصر الألماني قد ساعد على ظهور التضامن بين القوميات المختلفة وهذا التضامن كان ينعكس في البرلمان في صورة صراعاً بين النمسويين والألمان وسائر العناصر التي تتحالف ضده، مما يوازي تحالفها ضد الإمبراطورية بالذات لأن الملكية لم تكن لتقوى على الوقوف في وجه النزعات الانفصالية في البلاد بدون مساعدة النمسويين الألمان.

* لقد أصبح ضعف الدولة واضحاً، مما أثلج قلوب الهنغاريين والولايات السلافية لأن هذا الضعف يقربها من أهدافها القومية، وقد حاول البرلمان تأخير النهاية بتنازلات معيبة، وكان العنصر الألماني يدفع ثمنها منفردا لأن ترضية العناصر الناقمة كانت تتم على حساب الألمان.

* وبعد أن سمى الأرشيدوق فرنسوا فردينان وليا للعهد، وأصبح في مركز يمكنه من التدخل بدأت حملة «إيثار التشيك» ونسقت بشكل صحيح مما حدا بولي العهد أن يشارك في القضاء على الطابع الجرماني للدولة، وذلك بإقصاء الألمان عن المراكز والوظائف الحساسة، وبإلحاق القرى الألمانية بمناطق تقطنها عناصر مختلطة، وسرعان ما طغى العنصر السلافي في النمسا السفلى وفي «فينا» التي أصبحت بالنسبة للتشيك مدينتهم الكبرى.

* كانت تخطر في رأس فرانسوا فردينان فكرة مستوحاة من زوجته التشيكية وهي إنشاء دولة سلافية في أوروبا الوسطى تقوم على أسهل المبادئ الكاثوليكية لتتمكن من الوقوف أمام روسيا الأرثوذكسية، وهكذا أراد آل هابسبورغ تسخير الدين لخدمة أغراضهم السياسية ولكن الفكرة فشلت، وكانت النتيجة هي ضياع عرش آل هابسبورغ وخسرت الكنيسة الكاثوليكية دولة كبرى، ذلك أن التاج بتسخيره الاعتبارات الدينية لخدمة أهداف السياسة قد أثار نعرات كان يتجاهلها في السابق، وترتب على محاولة القضاء على الطابع الجرماني نحو الحركة الجرمانية في النمسا واشتداد المطالبة بالوحدة بين البلدين الألمانيين.

* وعندما سحق جيش الرايخ الجيش الفرنسي في سيدان عامي 1870 ـ 1871م بدا على آل هابسبورغ الخوف من السير إلا في الاتجاه الصحيح المؤدي إلى بعث أمجاد العنصر الجرماني، ولكنهم تناسوا معركة «سيدان» وعادوا إلى سيرتهم الأولى، بينما زاد انتصار «سيدان» من نشاط النمسويين الألمان وزاد أملهم في المستقبل الأفضل تحت لواء إمبراطورية موحدة في رعاية «تاج الراين» الذي يجب أن يزين الرأس الذي يستحقه.

* لقد تناسى آل هابسبورغ عبرة معركة «سيدان» فاندفعوا

إلى إبادة العنصر الجرماني من النمسا، ولكن ردة الفعل كانت قوية ومفاجئة إذ سرعان ما أثار الألمان النمساويين على مَنْ يريد القضاء عليهم، وكان من مميزات حركة الوحدة الجرمانية في النمسا (1890 ـ 1900م) أنها أظهرت بوضوح عمق الهوة الفاصلة بين الشعب وحكامه، وأظهرت بوضوح أنه لا يجوز للدولة أن تفرض احترامها على الشعب عندما تريد أن تلحق الأذى بهذا الشعب عامدة متعمدة، وأن سلطة الدولة لا يمكن أن تصبح غاية بحد ذاتها ولا يمكن أن يصبح كل طغيان مقدساً ولكن عندما تريد الدولة الخراب لشعبها عندها سيصبح العصيان حقاً من حقوق الشعب بل واجباً وطنياً، أما كيف يمكن للشعب أن ينصف نفسه فإن القوة هي الطريقة الوحيدة للفصل بين حكام طغاة وشعب مضطهد، وما دامت الحكومة تعتبر نفسها مسؤولة عن السلطة فيجب أن تقر وتعترف أن المناضلين بدافع من غريزة حب البقاء سيجدون أنفسهم مضطرين إلى اللجوء لنفس الأسلحة التي تلجأ إليها الحكومة للدفاع عن سلطتها.

* يجب أن يعمل المناضلون المضطهدون ضمن نطاق الشرعية، مادامت السلطة المتهدمة تعمل في نفس النطاق، أما إذا عمدت إلى طرق غير مشروعة لتدعم سلطانها المتداعي فمعنى ذلك أن النضال الشعبي لو بقى ضمن النطاق الشرعي فمعناه الانتحار.

* إن نضال البشر من أجل البقاء معناه بقاء الجنس البشري لا بقاء الدولة، فإذا وجد شعب أو عنصر نفسه مهدداً بالزوال فإن الدفاع عن النفس وعن مقومات الوجود يجيز له اللجوء إلى كل الوسائل الممكنة، إذ أن حق الإنسان قبل حق الدولة، وإذا غلب الشعب فمعنى هذا أن القدر قد وجده أضعف من أن يستحق العيش على هذه الأرض، إن العالم على سعته ليضيق بالشعوب الضعيفة.

* ويواصل «هتلر» حديثه قائلاً: ـ

إن الدليل على الاستمرار في الطغيان تحت ستار «الشرعية» موجود في النمسا، فبينما كانت الملكية الهابسبورغية تحاول التضييق على الألمان بكافة الوسائل، عمدوا هم بدورهم إلى الهجوم، وكانوا أول مَنْ أظهر مكان الداء في جسم الدولة المعلول، وبذلك كشفوا لآلاف المواطنين حقيقة الوضع، ويعود هذا الفضل إلى الألمان النمسويين في تحرير مبدأ حب الوطن من براثن الملكية التي جعلت الإخلاص لها مقياساً للوطنية، وقد اجتذب الحزب الألماني منذ تأسيسه عشرات الألوف، ولكن سرعان ما قبض الحزب المسيحي الاشتراكي على زمام الحكم، مما أدى إلى إنكماش حركة الوحدة الجرمانية في البلاد..

* لقد بدأت أدرس هذه المسألة كي أتوصل إلى الأسباب التي

أخمدت الحركة الجرمانية بهذه السرعة المدهشة، بينما فتحت الطريق أمام الحزب المسيحي الاشتراكي للوصول إلى سدة الحكم بهذه السرعة المدهشة، وقد بدأت بتحليل شخصية الرجلين اللذين تزعما الحزبين وهما «جورج فون شوفرر» و «الدكتور كارل لوجر»، فقد كانا من النوع النظيف لا تشوب حياتهما شائبة، وكنت في أول الأمر من أشد المعجبين بشخصية «فون شوفرر» زعيم الحركة الجرمانية، ولكن شخصية الدكتور «لوجر» ما لبثت أن طغت عليَّ وفرضت احترامها، وقد تبين لي من مقارنة مواهب الزعيمين أن «فون شوفرر» أعمق تفكيرا، وهو أول مَنْ تنبأ بزوال الدولة النمساوية ولو أنهم في الرايخ أعاروا إنذراته الاهتمام البالغ بشأن آل هابسبورغ لما جازفت ألمانيا بحمل السلاح في وجه أوروبا كلها، ولكن إذا كان «فون شوفرر» ممن يتنبأون للمستقبل، فقد أثبتت الأحداث مع الأسف أنه يجهل طبيعة البشر بينما كانت معرفة البشر هي سر قوة الدكتور «لوجر».

* كان «لوجر» يدقق في اختيار أصدقائه، ولا يتمادى في حُسن الظن بحيث لا يرى أصدقاءه بأحسن مما هم عليه، وبفضل هذا التحفظ كانت تقديراته صائبة وصحيحة، على العكس من «شوفرر» الذي كان يرى كل شيء على ما يرام بفضل ثقته ومبادئه المثالية، فقد

كانت نظريات الزعيم الجرماني صحيحة وصادقة ولكن كان ينقصه المنطق وقوة الإقناع فلم يكن ليستطيع إقناع الجماهير ذوي العقول المحدودة بوجهة نظره لذلك لم تقترن نظرياته بالتنفيذ العملي.

* وقد أدرك «شوفرر» أنه ينبغي له أن يجعل تفكيره ينسجم والمفهوم العام، ولكنه لم يدرك أن غالبية الشعب وحدها يمكنها الدفاع عن هذه المفاهيم، وأن مقدرة الطبقة البورجوازية على الكفاح محدودة جداً إذ أن البورجوازي يحتفظ لنفسه بخط الرجعة، ولا يذهب إلى حد بعيد في نضاله خوفاً على مصالحه الاقتصادية.

* إن أية عقيدة أو فكرة لن يكتب لها النجاح ما لم يعتنقها أكثرية الشعب ويبدي استعداده للنضال من أجلها..

* لم يخف على الدكتور «لوجر» أن مقدرة البورجوازيين على النضال السياسي ليست من القوة بحيث يمكنه الاعتماد عليها، ولا يمكن أن تضمن نجاح الحركة التي يترأسها هو، لذلك أوقف مجهوده السياسي على جذب الطبقات الضعيفة المهددة في أرزاقها، وفي نفس الوقت سعى للتقرب من المؤسسات الكبيرة وذلك لاستغلال صداقاتها واستخدامها في تنشيط حركته.

* وهكذا قامت حركة الدكتور «لوجر» على الطبقات المتوسطة

والضعيفة فكان له أنصار عديدون مستعدون للتضحية والكفاح، كما استطاع بموقفه الواعي من الكنيسة الكاثوليكية أن يستميل الأكليروس الناشئ مما اضطر الحزب الأكليركي الهرم إلى الانسحاب أو إلى الانصهار في بوتقة الحزب الجديد..

* لقد أراد «لوجر» كسب قلوب سكان العاصمة «فينا» لأنها هي قلب المملكة ومنها يمكن الإحساس بالنبضات الأخيرة لجسم الإمبراطورية المحتضر، وكان باعتقاده أن إنقاذ القلب يعني إنقاذ سائر الجسم، ولكن حساباته لم تتطابق وبالتالي لم يتمكن من إنقاذ المملكة المنهارة، لقد نجح «لوجر» كمحافظ للمدينة نجاحاً كبيراً، ولكنه فشل في الإبقاء على المملكة المتداعية أما «شوفرر» فقد فشل أيضاً في بلوغ هدفه، فكلا الرجلين لم يتمكن من الوصول إلى النهاية، فلا «لوجر» استطاع إنقاذ المملكة ولا «شوفرر» استطاع أن يُبعد الكارثة عن الشعب الألماني.

(٤)
عوامل إخفاق حركة شوفرر

*** يتحدث «هتلر» عن عوامل إخفاق حركة «شوفرر» في النمسا فيقول:.**

إن أخفاق حركة «شوفرر» ترتكز على ثلاثة أسباب هي: ـ

أولاً: ـ سوء التقدير للقضايا الاجتماعية الهامة، وخاصة بالنسبة إلى حزب ثوري جديد، فقد كان يعتمد بصورة خاصة على الطبقات البورجوازية التي لا أمل منها، فالبورجوازية الألمانية تبقى مسالمة لدرجة نكران الذات عندما تتعلق الأوضاع بمصير الأمة الداخلي، وعندما تكون الحكومة متباعدة عن الشعب، والمطالبة بحقه فمسألة الطبقة البورجوازية في هذه الأوقات بالذات لا يعتبر إلا تواطؤاً مع الحكومة ضد مصلحة الشعب.

* لقد كان من واجب الحركة الجرمانية أن تستمر وتسعى لجذب الجماهير، ولكنها لم تفعل، بل بدأت باستمالة البورجوازيين

المعتدلين الذين وسموا إلى الحزب الجديد بطابعهم الخاص، مما أدى إلى فتور همة الحزب ومع الأيام جنح نحو التعاون مع السلطات على أساس الاعتراف بالوضع الحالي ووقف حركة النضال وعقد صُلح أعرج.

* إن فشل حركة الوحدة الجرمانية كان سببه إذن إغفال قوة الجماهير مما جعل الحزب بورجوازيا راديكاليا معتدلاً، ومن ثَمَّ تولد الخطأ الثاني.

ثانياً: ـ عند ابتداء الحركة كانت حالة الألمان في النمسا تدعو إلى الأسف، فقد أصبح البرلمان ألعوبة في يد الحكام يستخدمونها للقضاء على العنصر الجرماني، وكانت كل محاولة لاسترداد هيبة هذا العنصر تفشل بصورة أكيدة، وقد شعرت الحركة الجرمانية بحراجة الموقف، فهل كان تدخل البرلمان بهدف استرداد نفوذها من الداخل أم لتبقى لتعمل في الخارج؟، ولم تلبث أن فضلت العمل داخل البرلمان وبالطبع خرجت من المعركة بالفشل الذريع...

* لم تكن الحركة الجرمانية بوضع يسمح لها بالاختيار فقد اضطرت لدخول البرلمان بسبب عجزها عن النضال خارج البرلمان لأن هذا يتطلب التضحيات الكثيرة والشجاعة والعزم فالتضحيات وحدها التي توفر للقضية أبطالاً لا يتورعون عن البذل ولا يهابون

العقبات التي تعترض سبيلهم.

* إن الأبطـال نجدهم، ومـع ذلـك يجب أن نبحث عنهم بين أفراد الشعب فالشعب هو العنصر المناضل القوي الذي يستمر في المعركة إلى نهاية الطريق وهذا العنصر المناضل كان ما ينقص الحركة الجرمانية، فلم يبق أمامها والحالة هذه إلا دُخول البرلمان والعمل على لغمه من الداخل.

* لقد خيل إليهم أن في إمكانهم مخاطبة الجماهير وتنويرهم من خلال خطبهم النارية داخل البرلمان، وباعتقادهم أن المجلس سيصبح كمنبر عام يتوجهون منه إلى الأمة جميعها، ولم يعلموا أن الجمهور لا يمكنه الاستماع إليهم إلا عن طريق الصحافة التي تطالعه كل يوم بأخبار الندوة البرلمانية، إما بطريقة محرفة أو ممسوخة.

* إن الحفل الـذي يمكن أن نخاطبه مباشرة هو الآلاف من المستمعين في الساحات والميادين العامة أو القاعات المعدة للاجتماعات، وإنه من البساطة الاعتقاد بأن العقائد السليمة كفيلة باجتذاب النواب إلى الاستماع.

* إن الخطب التي ألقاها النواب الألمان في البرلمان النمسوي كانت كالدرر الملقاة إلى الحيوانات، فذهبت جميعها كالهباء المنثور،

أما الصحافة فكانت تحرف أقوال النواب الألمان وتنشر ما تراه مناسباً بعد أن تشوهها وتبدل في معانيها لتلقي ظلاً من الشك على مقاصد الحزب.

* لقد كان على الحزب أن يعلم أن قيامه بشكله الجديد سيباعد بينه وبين النجاح إلا إذا بنى عقائده على الفلسفة، إذ أن كل حركة قومية بحاجة إلى الدعامة الكافية التي تتيح لها قوة الاستمرار وهذه القوة تستمدها من المفاهيم الفلسفية للحركة.

* إن العقائد الفلسفية بحاجة إلى زعماء شجعان قادرين على البذل والتضحية وبذلك يتقدم لخدمتها وللدفاع عنها مناضلون يقتحمون الموت بخطى ثابتة لا يطمعون بوظائف ومراكز سهلة التناول بل يجب على الزعماء أن يفهموا جماهيرهم ومؤيديهم أن طريق الكفاح طويل وشائك ولكن المستقبل سيحمل للجيل المقبل السعادة والازدهـار، ولن تعطي ثمارها في الوقت الحاضر، وإذا لوح الزعماء بالوظائف والمراكز فسرعان ما يجتاحها الوصوليون والانتهازيون ويأتي اليوم الذي يتسلط فيه هؤلاء على الحزب فيصبح المناضل الشريف دخيلا على الحركة التي قامت على ساعده.

* وبانتصار نشاط حركة الوحدة الجرمانية داخل البرلمان توفر لديها عوضا عن الزعماء المكافحين بضعة من النواب البرلمانيين،

فهبطت الحركة الجرمانية إلى مستوى الأحزاب السياسية، ولم تعد قادرة على الصمود بوجه التيارات المعادية، وبدلاً من أن تستمر في النضال العنيف تعلمت إلقاء الخطب وفن المساومة، وما لبث نواب الحزب أن اقتنعوا أن طريقتهم هذه أفضل وأنفع فهي أخف خطرا عليهم وأقل مشقة وإجهاد، وقد علق أنصار الحزب الآمال الكبيرة على رجاله في البرلمان، وانتظروا المعجزة الكبرى، ولكن سرعان ما خابت آمالهم ولم يتحقق شيء من الوعود الكثيرة وعملت الصحافة على توسيع الخلاف فكانت تغفل إظهار مواقف النواب الألمان المشرفة، وفي نفس الوقت انقطعت الصلات التي كانت تربط أنصار الحزب بعضهم لبعض، فقد اجتذب البرلمان الخطباء الذين توقفوا عن الاجتماعات ومخاطبة الجماهير وجها لوجه مما يقوى حماسة النفوس ويثبت الإيمان بقضيتهم وعدالتها..

* لقد أضاعت الحركة طابعها الشعبي فانقلبت إلى نادي للجدال والنقاش منذ أن انتقل خطباؤها وزعماؤها من الساحات العامة إلى المجلس النيابي. وإذا كانت الصحافة قد لعبت دورها في تقوية مواقف النواب الألمان داخل البرلمان، فإن غيابهم عن ساحة النضال الفعلي وانقطاعهم عن ناخبيهم كانا من أهم العوامل التي فتحت المجال أمام الصحافة لتنجح في إثارة نقمة الشعب على الحركة الجرمانية.

* أن أي حركة ترقب أهدافاً بعيدة المدى ينبغي لها أن تحافظ على الصلات الوثيقة بينها وبين الجمهور، وأن تدرس كل قضية على ضوء هذه الحقيقة وتنفذ مخططاتها حسب هذا الاتجاه وأن تبتعد عن كل ما من شأنه أن يخفف من تأثيرها على الجماهير الشعبية لأن أي مشروع كبير لن يتحقق بدون مساعدة ومساهمة الجماهير..

ثالثاً: ـ العامل الثالث الذي كان مسببا لإخفاق حركة الوحدة الجرمانية هو جهل زعماء الحركة لنفسية الشعب وأكبر مثال على هذا الجهل هو محاربة الحزب للكنيسة الكاثوليكية.. ولكن كان هناك بعض المسببات التي حدت بالحركة الجرمانية لمعاداة الكنيسة..

* طبع مشروع آل هابسبورغ النمسا بالطابع السلافي حتى أنهم ورطوا المؤسسات الدينية في ذلك، فقد تحالفت معهم الأرشيات التشيكية في تطبيق الفكرة الجديدة وقد وقف رجال الأكليروس الألمان موقف المتفرج من تلك الأحداث، وقد ألم «فون شوفرر» أن يرى التحيز الفاضح من قبل الكنيسة الكاثوليكية فأعلن عليها الحرب وطالب «بالانفصال عن روما» باعتبار أن أصل البلاء هو في أن رأس الكنيسة مقيم خارج ألمانيا، لذلك وجب على الألمان، كهنة وعلمانيين، أن يعملوا على إيجاد كنيسة وطنية خاصة بهم.

* لم يكتب النجاح لحملة «فون شوفرر» لأنها اعتمدت مقاييس

خاطئة فقد انحصر اعتمادها على إخلاص رجال الأكليروس للفكرة الجرمانية ولكن «الأكليروس» كان يدين بالولاء المطلق للكنيسة أما إخلاصه للوطن فكان موضوعياً.

* لقد كان على الحركة الجرمانية قبل أن تعلن الحرب على الكنيسة أن تنتظر ما إذا كان بقاء الألمان في النمسا يتمشى مع مصلحة الكنيسة الكاثوليكية أم لا؟، فإما أن يترفعوا عن التدخل في القضايا الطائفية وإلا وجب عليهم البدء في تحقيق الإصلاح الديني بواسطة حزب سياسي، هو جاهل ومتهور، وعنده أن تأسيس دين من الأديان أو تقويضه هو أعظم شأناً من تأسيس دولة أو تقويضها، قد يقول قائل إن حملة الألمان على الكنيسة لم تكن إلا لصد الهجمات المعادية عليهم، ولكن يجب أن لا نحمل الدين أو الطائفية تبعة الأعمال التي قام بها أشخاص لم يتورعوا عن استخدام الدين أو الطائفية لنيل مآربهم، وكانت الحرب التي شنها الألمان على الكنيسة بمثابة سلاح وضعوه في أيدي خصومهم لا سيما النواب الذين جعلت منهم تلك الحملة أبطالا يدافعون عن الدين والكنيسة وفي بلاد اشتهر أهلها بالتعصبية لذلك ابتعد عن الحركة جميع الكاثوليك الذين يدينون بالولاء «لروما» فكان ذلك مدعاة لتضاؤل شأنها في جميع الأوساط..

*** ويواصل هتلر حديثه قائلاً:.**

وهناك خطأ آخر وقعت فيه الحركة وهو أنهم اضطروا لمحاربة أكثر من خصم، فالشعب من أتباعهم توهم أنه يواجه أكثر من عدو، وأنه مضطر إلى الحرب على جبهات متعددة فارتبك بأمره واعتراه مركب نقص في حقيقة وعدالة قضيته، إذ أن الجمهور بدأ يتساءل هل يكون جميع خصومه على خطأ وهو وحده على صواب؟!

* إن الحزب الألماني النمساوي قد اختار الهدف، ولكنه اختار طريقاً أعوجاً وسلكه لبلوغ هدفه السامي، فكانت النتيجة الإخفاق والفشل الذريع.

* أما الحزب المسيحي الاشتراكي فلم يقع في الأخطاء التي وقع فيها حزب الحركة الجرمانية، فقد اختار الطريق القويم قبل أن يمضي نحو الهدف، فقد وعى أهمية الحركات الشعبية فاجتذب نحوه أنصاراً مخلصين مستعدين للتضحية وذلك بمجرد إعلانه عن أن عمله هو رفع مستوى الصُناع اليدويين وبنفس الوقت تجنب الاصطدام مع المؤسسات الدينية مما ضمن له مؤازرة الكنيسة الكاثوليكية.

* إن الحركة التي تزعمها الحزب الجديد وهي معاداة السامية

قد قامت على أساس ديني لا أساس عنصري بحجة أن المبادئ العنصرية لا تصلح كأساس للعمل على إنقاذ البلاد بل سُيعجل من انهيار الدولة..

* كانت (فينا) في ذلك الوقت قد اجتذبت العديد من السكان ذوي الطابع القومي الخاص، وأخذ كل فريق منهم يتكتل سياسياً، وخوفا من أن تصبح هذه التكتلات قوة معادية للألمان، جعل الدكتور «لوجر» ينادي بشعار «إنقاذ النمسا من المفسدين اليهود»، ودعا جميع النمسويين من جميع الفئات إلى صد هذا التيار الذي يروج له اليهود، لا بصفتهم غرباء بل كونهم طائفة دينية..

* ومن الواضح أن أي حملة تشن ضد اليهود على أساس ديني لا تلحق بهم أي ضرر لأنهم كانوا على استعداد لإنقاذ أنفسهم وتجارتهم بقليل من ماء العماد وسرعان ما ظهرت سطحية الأسس التي قام عليها العداء للسامية، وخُيل إلى الكثيرين أن القصد من هذه الحملة هو حمل اليهود على اعتناق المسيحية وبدت لهم أن هذه المحاولة هي محاولة صبيانية لا تستحق أي تشجيع.

* لقد ضحى الحزب بفكرة قيام الأدلة على القومية، حين وقفوا لمحاربة اليهود على أساس ديني، وحتى بعد فشل الحركة المعادية للسامية، فقد تجنب الحزب إثارة مبدأ القوميات آملين أن يتمكنوا

من إنقاذ دولة «آل هابسبورغ» بتجاهلهم المرض الذي ينهشها.. وقد فاتهم أن إثارة مسألة القوميات كفيل بجلاء الغموض الذي يكتنف بعض الولايات..

* كنت مع الألوف الذين شيعوا جنازة الدكتور «لوجر» من دار البلدية إلى «الرانغتراس» وقد شعرت بأن أعمال هذا الرجل قد ذهبت سدى لأن القدر كان يأبى على الدولة النمساوية أن تستمر، ولو عاش «لوجر» في ألمانيا لكان احتل المرتبة الأولى ولكن سوء حظه جعله يعيش في هذه الدولة الغير قابلة للإصلاح.

* عند موت الدكتور «لوجر» بدأ البلقان بالاشتعال، وكان القدر رفيقا به فلم ير الكارثة التي كان يعمل على تفاديها.

*** ويواصل هتلر حديثه قائلاً:.**

بدأت أكره النمسا بعد أن أصبحت معرضاً للقوميات المتنافرة وتنكرت لتاريخها المجيد بعد أن سمحت لجموع البولونيين، والتشيكيين والهنغاريين وغيرهم لغزوها والاستيطان فيها وخيل إليَّ في هذا الوقت أني أصبحت غريباً في تلك العاصمة الجميلة «فينا».

* قررت الانتقال إلى ألمانيا لأعود إلى مهنتي في هندسة البناء تاركا المساهمة في تحقيق أغلى أماني القومية وأماني الألمان

المخلصين وهي إلحاق وطني النمسا بالوطن الكبير الرايخ الألماني.

* إن الحنين إلى الوطن يتقد في قلوب جميع الذين يعيشون بعيدين عنه، ولن يعرفوا معنى الطمأنينة إلا حين تفتح أمامهم بوابة الوطن وينعم الدم المشترك بالسلام والطمأنينة في الإمبراطورية الموحدة.

* **ويختتم «هتلر» حديثه عن النمسا قائلاً:.**

كانت «فينا» المدرسة التي علمتني دروس الحياة، فقد دخلتها صبيا يافعا وغادرتها رجلاً رصينا، وفيها تبلورت نظرتي إلى الحياة، وفيها تعلمت الأسس التي نعمل من أجلها اليوم كحزب بدأ حركة متواضعة منذ خمس سنوات وهو الآن ينمو بشكل كبير ليصبح حركة شعبية ذات شأن عظيم.

الفصل الثالث

هتــلر

«العلاقات الألمانية الروسية وسياسة التوسع»

هتلر والعلاقات الألمانية الروسية وسياسة التوسع

*** يقول هتلر في كتابه «كفاحي»**

يدفعني إلى بحث موضوع العلاقات الألمانية الروسية سببان هما: ـ

أولاً: إثارة هذا الموضوع في الصحف الماركسية في معرض حديثها عن عقد محالفات (أحلاف) يقوى بها ساعد ألمانيا.

ثانياً: الاستخفاف الذي يعالج المثقفون قضايانا الخارجية.

* إن حركتنا لا تجد صعوبة في إزالة ما يعلق في أذهان اليساريين من جراء الدعايات الماركسية لأن هذا الفريق من المواطنين لم يأخذ بوجهه نظر الماركسيين إلا أنه لم يجد مَنْ يوجهه ويرشده إلى الطريق القويم فيما يجب أن تكون عليه سياسة ألمانيا الخارجية، وقد وجد آلاف اليساريين في حركتنا المشعل الذي أضاء أمامهم ظلام الطريق، وقد وجدنا بقية باقية لديهم من الوعي القومي

وغريزة حُب البقاء لدى المثقفين، فقد كان علينا إقناع رجال خدرت وعيهم القومي مثاليات مضطربة، فضحوا على مذبح الموضوعية آخر ما تبقى لهم من عزة قومية وغريزة حُب البقاء، وقد حاول هذا الفريق من المواطنين الانحراف بسياسة ألمانيا الخارجية نحو المزالق الخطرة، لذلك وجدت أنه من الواجب عليَّ أن أشرح لأعضاء الحزب وأنصاره أخطر قضية تواجهها الدولة العنصرية في الحقل الخارجي، وهو موقف الرايخ من روسيا وقبل أن أدخل في صلب الموضوع أوضحت في أكثر من خطاب ومحاضرة ومقال أن السياسة الخارجية للدولة العنصرية يجب أن تسعى إلى إيجاد مقومات البقاء للشعب وذلك بإقامة نسبة عادلة ملائمة لقانون الطبيعة بين عدد السكان وزيادته المطردة من جهة وبين مساحة الأرض وقيمتها من جهة أخرى، وقد سبق لي وشرحت أن أقوى ضمانة لحرية الشعب وبقائه هو في حصوله على المدى الحيوي الكافي، على أن تحافظ على سلامة هذا المدى دولة قادرة سياسياً وعسكرياً ضمن إطار جغرافي ملائم على الدفاع عن كيانها وحماية مصالح شعبها الحيوية.

* حين ينظر الشعب الألماني إلى المستقبل، عليه أن يعتبر بلاده هي دولة عظمى مدعوة إلى تمثيل دورها على المسرح العالمي، فقد مثلت ألمانيا هذا الدور طيلة قرون، وكان نشاط شعبنا جزءاً لا يتجزأ من

التاريخ العالمي، فالحرب الأخيرة التي خضنا غمارها والتي كانت بالنسبة لنا صراعاً من أجل البقاء، هذه الحرب أطلق عليها الأعداء اسم «الحرب العالمية الأولى»، معترفين بأهمية الدور العالمي الذي يمثله شعبنا.

* لقد خاض الشعب الألماني الحرب بصفته قوة عالمية مزعومة، أقول «مزعومة» لأن ألمانيا عام 1914م لم تكن قوة عالمية، فقد حملت السلاح وهي غير مهيأة للحرب، فقد كانت تنقصها المواد الاحتياطية التي تدفعها إلى الثبات مدة طويلة، لأن الأراضي الألمانية ضاقت بالسكان وبات جهد الشعب مقصوراً على استنباط تربة الوطن الخيرة، لكن عطاءها قصر مع مرور الأيام عن سد حاجة السكان الآخذ عددهم في الازدياد.

* **ويواصل هتلر تدوين خواطره وأفكاره في كتابه «كفاحي» قائلاً:.**

وألمانيا اليوم لا تعتبر قوة عالمية ولن تصبح كذلك حتى في حال بعث الجيش الألماني، لأن المانع الذي كان قائما قبل الحرب «يقصد الحرب العالمية الأولى» لا يزال كما هو، بل على العكس فقد ازداد وضعنا تدهوراً بخسارتنا لأجزاء هامة من الوطن الألماني، فقد ترتب على فقدان هذه الأجزاء مشاكل جديدة، فقد أصبح على ستين مليونا من المواطنين والرعايا أن يتدبروا خبزهم اليومي في

مساحة من الأرض لا تزيد على نصف مليون كيلومتر مربع، وإذا نظرنا إلى ألمانيا من حيث مساحة الأرض نجد أنها في وضعها الحاضر أي بمساحتها الحاضرة دولة متوسطة عاجزة عن الوصول إلى مستوى الدول الكبرى، ولا يجوز الاستشهاد بصغر المساحة الأرضية التي تشغلها إنجلترا للتدليل على خطأ هذه النظرية، فالواقع أن إنجلترا تعتبر العاصمة الكبرى للإمبراطورية الإنجليزية المترامية الأطراف..، ويمكننا أن نعتبر دولاً عظمى كالولايات المتحدة الأمريكية وروسيا والصين، فمساحة كل واحدة منها تبلغ عشرة أضعاف مساحة ألمانيا بوضعها الحالي، وكذلك فرنسا يمكن اعتبارها من الدول العظمى لأنها تملك أقوى جيش في العالم وتعززه باستمرار، بفضل مواردها الخاصة وموارد إمبراطوريتها الواسعة، كما أنها تسد النقص في المواليد باختلاطات عرقية ودموية إن لم يوضع لها حد نجم عن استمرارها لمدة قرن آخر قيام دولة أفريقية أوروبية مكان فرنسا اليوم.

* لقد تنبهت الحركة الوطنية الاشتراكية لهذه الحقائق وندبت نفسها للقيام بجمع شتات الشعب الألماني وصهر شتى عناصره في بوتقة القومية الصافية ثم الخروج به من الدائرة الضيقة ليضرب في آفاق جديدة واسعة لأن بقاءه في مكانه يعني له الانقراض أو

الخضوع لنير الاستبعاد، إن الحركة الوطنية الاشتراكية لن تقبل أن يعيش ستون مليون ألماني في بقعة من الأرض لا تزيد مساحتها عن نصف مليون كيلومتر مربع، وترى أن من أقدس واجباتها إزالة هذا الواقع الأليم وسد الثغرة التي أحدثتها السياسة الخارجية في العهد الأخير بين ماضينا التاريخي المجيد وحاضرنا الأليم، وسُتعلم حركتنا الشعب الألماني كيف يعتني بنفسه كعنصر متفوق في الأصل، وتنبهه إلى وجوب الاعتناء بدمه لكي لا يدعه عرضة للاختلاطات المميتة، وتوجهه اتجاهاً يجعله جديراً بحمل المشعل الذي حمله أجدادنا.

* ثم يستطرد «هتلر» في كتابه «كفاحي» في الحديث عن السياسة الخارجية لألمانيا خلال العشر سنين التي سبقت الحرب العالمية الأولى فيقول:-

إن سياسة ألمانيا الخارجية خلال السنين العشر التي سبقت اندلاع الحرب العالمية الأولى لم تكن بأفضل من سياستها الحاضرة التي نحملها أخطاء جسيمة ارتكبتها لأنها عاجزة عن الوقوف حيث يملى عليها الواجب، فقد كانت لنا إمبراطورية واسعة وكنا أقوياء نسبيا، ولكن قوة الدولة يجب أن تقاس بمقياس قوة باقي الدول، وألمانيا قبل الحرب «يقصد الحرب العالمية الأولى» ظلت مقصرة

عن بلوغ مستوى الدول المنافسة لها، لقد كنا نتقدم إلى الأمام ببطء شديد بينما كان الآخرون يسرعون الخطى، ولئن تكون التضحيات الكبيرة التي قام بها شعبنا والتي ذهبت سدى، فسبب ذلك يعود إلى عدم معرفة الحاكمين لاستعمال الطاقة الشعبية التي وجدت في متناولهم، وإذا رجعنا إلى تاريخ ألمانيا واستعرضنا مآتيها العسكرية ودرسنا نتائج هذه المآتي النهائية كما تظهر لنا اليوم، نجد أننا تجاه واقع ناطق بمهارة الذين تولوا مقدرات شعبنا في ذلك العهد الذهبي، فبفضل سياستهم الحكيمة توصلوا إلى النتائج الآتية: ـ

1 ـ استعمار المناطق التي تعتبر الباب المؤدي إلى الشرق.

2 ـ احتلال المناطق الواقعة شرقي نهر الألب.

3 ـ نجاح آل «هوهتزولرن» في إنشاء نواة الإمبراطورية حين تم لهم إنشاء الدولة البروسية.

* لقد شدد المؤرخون الألمان على أهمية النتيجة الثالثة أي إنشاء الدولة البروسية ولم يحفلوا كثيرا بالنتائج الأولى والثانية مع العلم أن التوسع في الشرق كان خطوة عظيمة بل من أعظم الإنجازات التي قام بها الأجداد، ولو أنهم لم يفعلوا ذلك لكنا اليوم مقاطعة تدين بالولاء لروسيا في الشرق أو لفرنسا في الغرب، فبفضل الزحف

شرقاً الذي يعتبر المحاولة الوحيدة الناجحة من هذا النوع، أمكن تحقيق الانسجام المطلوب بين عدد السكان المتزايد وبين المدى الحيوي اللازم ولا يعتقد أن تشديدي على أهمية الزحف شرقاً واعتباري لها كخطوة موفقة قام بها أجدادنا، لا يعتقد أنني لا أقدر أهمية الخطوة الثالثة، أي إنشاء الدولة البروسية وما تلاها من قيام الجيش الألماني رمز وحدة الأمة، فبفضل الحدث التاريخي العظيم شعر كل ألماني أن ما كان يشغله في الدفاع الفردي قد زال وحل محله الدفاع عن الأمة كلها في محيط المؤسسة العسكرية التي تمثلت فيها جميع عناصر الأمة.

* وهكذا أصبح للشعب الألماني نظام جديد يجمع شمله، ويوحد كلمته، ويوفر له التنظيم الذي كان ينقصه، ذلك أن التضامن الفطري القائم بين بقية الشعوب والذي لا نجده في مجتمعنا نحن قد ساد إلى حد ما صفوف أمتنا بفضل التدريب العسكري، لذلك كان إلغاء الخدمة العسكرية الإجبارية وخيم العواقب في بلادنا التي لم تتخل بعد عن النزعة الفردية نهائياً، والتي يساهم في تفريق كلمة أبنائها وهو تعدد العناصر وانتشار المفاهيم الفلسفية المتناقضة.

* ويواصل هتلر حديثه في كتابه «كفاحي» قائلاً: -

من المؤسف القول إن أعداءنا يقدرون ويفهمون أكثر منا أهمية

انتصاراتنا السياسية الحقيقية التي أحرزها شعبنا خلال ألف عام من النضال الشاق والكفاح المرير، لذلك وجب على حركتنا أن تعلم شعبنا كيف يميز بين الانتصارات السياسية الحقيقية وبين الحالات التي أهدرت فيها دماؤنا بدون طائل، ويمكننا القول دون أن نتجنى على الحقيقة ودون أن نقلل حقوق ساستنا إن ألمانيا لم تكسب شيئا من الخطوات التي خطتها منذ قرن إلى اليوم في ميدان السياسة الخارجية، لأن المدى الحيوي لم يكن هدف هذه السياسة.

* ما أكثر المتشدقين في أيامنا هذه، وما أكثر الزاعمين أن سياسة ألمانيا الخارجية يجب أن تقصر نشاطها على محو عار عام 1918م مقيمة بذلك الأدلة على زهدها في التوسع تطميناً للجيران، أما أنا فأقول إن التفكير في إعادة الرايخ إلى الحدود التي كانت له عام 1914م هو جريمة بحق الوطن، ولا أنكر أن حدود ما قبل الحرب «يقصد الحرب العالمية الأولى» لم تكن معقولة من الوجهة الاستراتيجية ولا منصفة من الوجهة الإنسانية لأن ملايين من الألمان كانوا يعيشون خارج تلك الحدود، وأذهب أكثر من ذلك فأقول إن حدود الرايخ لم تكن نتيجة عمل سياسي مدروس، إنها كانت مؤقتة بانتظار الانتهاء من نزاع لا يزال قائماً، ولكن المطالبة بإعادة هذه الحدود من شأنها إعادة الارتباط بين الحلفاء، لأن أكثر

ما يخافه هؤلاء هو بعث «الخطر الألماني» حسب قولهم الماثل في وحدة الأمة والتفاف أبنائها جميعهم حول رايتها..

* لقد تناسى أعداؤنا عام 1914م ما بينهم من أسباب النزاع والقطيعة ليعقدوا العزم على محاربة ألمانيا القوية، ثم وجدوا بعد ذلك أن تقسيم ألمانيا هو الضمانة الوحيدة لمنع الرايخ من النهوض مرة أخرى، فعندما يعلن ساستنا البورجوازيون أن سياستنا الخارجية يجب أن تقصر همها على إعادة حدود 1914م إنهم يقدمون إلى الأعداء السبب المطلوب للإبقاء على التضامن فيما بينهم لعلمهم أن ألمانيا القوية تخافهم مجتمعين ولكنها لن تتردد في الانقضاض عليهم حين يصبحوا متفرقين.

* إن شعار عالمنا البورجوازي في إعادة حدود 1914م وهو والحالة على ما ذكرت شعار في غير محله بالإضافة إلى أن وسائل تحقيقه غير متوفرة وأنه في حالة تحقيقه لا يستأهل منا هدر دماء أبنائنا في سبيله، باعتبار أن حدود ما قبل الحرب لا قيمة لها في حساب الذين ينظرون إلى أبعد من أنوفهم، فهي لم تكن غطاءً صالحاً في الماضي ولا يمكن أن تشكل قوة في المستقبل، فهذه الحدود لم تحفظ لشعبنا وحدته الداخلية ولم توفر له قط أسباب العيش أما من الناحية العسكرية فليس لتلك الحدود من قيمة دفاعية.

ليس بإعادة حدود 1914م يمكن لألمانيا أن تستعيد مكانتها السابقة ونحن الوطنيين الاشتراكيين مقتنعون ببطلان كل تخطيط لسياستنا الخارجية لا يتضمن إعطاء الشعب الألماني الأرض التي يجب أن تعود إليه في هذا العالم، وبلوغ هذا الهدف يبرر هدر دمنا الألماني لأن أحفادنا الذين سيتوالدون على الأرض الجديدة سيغفرون لنا إرسال آباءهم إلى الموت في سبيل تأمين مداهم الحيوي.

* ويعترض بعض الكُتاب العنصريين على هذا النوع من التوسع زاعمين أنه يُشكل اعتداء على حقوق البشر المقدسة، ولا أعلم من أين استخلص هؤلاء نظريتهم السخيفة ولكني متأكد بأن انتشار هذه النظرية لن يفيد أعداءنا في الداخل والخارج، وتناسى أعداء التوسع أن ما من شعب في هذا العالم تمكن من امتلاك شبر واحد من الأرض بفضل احترامه لحقوق الآخرين وتقيده بالقوانين المنزلة أو الموضوعة.

* إن حدود الدول هي من صنع البشر، وتبديلها يتم على أيدي البشر وحدود ألمانيا الحالية ليست سوى نتيجة لنضال طويل لم ينته بعد وكذلك حدود فرنسا وبولونيا وإيطاليا وغيرها..

* إن حصول شعب من الشعوب على أراضي مترامية الأطراف لا يعني بشكل من الأشكال أن الشعوب المحرومة لا يحق لها منازعة ملكية هذه الأراضي وأن ما يقاسيه شعبنا اليوم من شظف العيش

وما يعانيه من ضيق ضمن الإطار الصغيرة من الأرض ليس من صنع القدر، كما يزعم الاتكاليون وليس الكفاح في سبيل تغيير هذا الوضع تمردا على هذا القدر، فأجدادنا لم يتلقوا الأرض التي نعيش عليها هبة من السماء لكنهم أحرزوها بقوة السيف بعد أن سقوا تربتها بدمائهم الذكية، والمدى الحيوي الذي نفتقر إليه اليوم لن نتمكن من الحصول عليه بنعمة «العنصرية» فسبيلنا إليه هو «القوة».

* إن تصفية حساب فرنسا خطوة ضرورية أولى لابد لكل ألماني مخلص من إقرارها، لكن تظل خطوة عقيمة أن نحن اكتفينا بهذا القدر، فإزالة الشوكة التي تهدد ظهرنا في الغرب يجب أن تكون بداية الانطلاق نحو توسيع ساحة الأرض التي نعيش عليها وقد أوضحت أن توسعنا خارج أوروبا لا يقضي على المشكلة فليس المطلوب إخضاع بعض الشعوب الملونة للسيطرة الألمانية، وإنما المطلوب الحصول على أراضي أوروبية تتسع بها رقعة الوطن الأم، وطبعا هذا التوسع سيكون على حساب الشعوب الأخرى، ونحن الألمان إذ نفكر أن هذا التوسع على حساب الآخرين عمل غير مشروع لكوننا قد ابتعدنا عن المنطق وكذبنا التاريخ، إن حق الشعب بالاستيلاء على أراضي جديدة يصبح حقاً مقدساً عندما يضيق الوطن بمن فيه، ويوشك أبناؤه على الهلاك اختناقاً.

* فأما أن تصبح لألمانيا قوة عالمية أو لا تكون، والشرط الأساس للوصول إلى مستوى الدول العظمى هو في إحرازها المدى الحيوي الذي يؤمن لشعبها مقومات البقاء.

* يجب علينا نحن الوطنيين الاشتراكيين أن نسعى لتبديل سياسة ألمانيا الخارجية وأن نبدأ حيث انتهى أجدادنا منذ ستمائة سنة يجب أن نعمل على وقف الزحف الجرماني نحو الجنوب ونحو الغرب لنتجه بأنظارنا نحو الشرق، أجل إن حركتنا ستسعى إلى الحد نهائيا من السياسة الاستعمارية والتجارية لنؤمن لشعبنا مداه الحيوي في أوروبا نفسها، ونحن إذ نهدف إلى ذلك لا يفوتنا أن اتساع الأرض التي نعيش عليها لن يتم إلا بالتوسع على حساب «روسيا» والبلدان المجاورة لها.

* إن القدر نفسه يشير بأصبعه إلى روسيا، فهو حين رمى بها في أحضان البلشفية قد انتزع من الشعب الروسي تلك الفئة من المفكرين الذين أقاموا صرح الدولة وتولوا مقدراتها، ذلك أن تنظيم تلك الدولة الروسية لم يكن يفضل جهود الصقالبة ومقدرتهم على الخلق والإبداع، بل كان ثمرة جهود العنصر الجرماني المتمتع بعبقريات منظمة حينما وجد وإينما حل..

لكن روسيا لم تعرف كيف تحافظ على النواة الجرمانية التي

خلقت الدولة لذلك اضمحلت هذه النواة مع مرور الأيام وظهر إلى حيز الوجود اليهودي في الوقت المناسب ليأخذ محلها..

* قد تحاول «روسيا» التخلص من الكابوس اليهودي لكنها لن تقوى على التخلص منه بأساليبها الخاصة، ولا يفوتنا أن اليهود أضعف من أن يستمروا بإخضاع دولة كبيرة لسيطرتهم لمدة طويلة، لأنهم عنصر مخرب لا يُحب النظام والبناء، لهذا فنحن نعتقد أن الدولة الجبارة في الشرق تقف على شفير الهاوية، وأن نهاية السيطرة اليهودية على روسيا تعني نهاية روسيا نفسها كدولة، وقد اختارنا القدر لنشهد هذه الكارثة التي تعتبر أحسن دليل على صحة نظرياتنا العنصرية فيما يتعلق بموضوع الأعراق البشرية.

* من البديهي أن يعارض اليهود هذه السياسة بكل ما لديهم من قوة ونفوذ لأنها تتنافى ومبادئهم وخططهم ودسائسهم، ويكفي أن يقف اليهود في وجه هذه السياسة الحكيمة لنقنع الذين يشعرون بالقضايا القومية بفائدة هذا الاتجاه الجديد الذي وضعته حركتنا، ولكن مع الأسف الشديد لم تختمر فكرة الاتجاه والزحف نحو الشرق في أذهان الكثيرين من القوميين الألمان وبعض العنصريين النظريين، فهم يستشهدون كلما أعوزتهم الحجة وخانهم المنطق بالاتجاه الذي رسمه (بسمارك) الذي حرص دائما على قيام علاقات ودية بين

ألمانيا وروسيا، وكان حرصه في محله وينسى الذين يستشهدون بما فعله «بسمارك» أنه كان يعلق أهمية كبرى على صداقته مع إيطاليا لكي يفرض إرادته على النمسا وهي في شبه عُزلة، فلم لا يُنادي المعجبون بسياسة «بسمارك» بنهج المنهج الذي اعتمده المستشار الحديدي تجاه إيطاليا الحالية؟ سيقولون إن إيطاليا اليوم ليست إيطاليا القرن التاسع عشر، ونحن نجيب أن «روسيا» اليوم ليست «روسيا» التي حرص «بسمارك» على كسب صداقتها، إذن فالقضية ليست ماذا فعل بسمارك؟ بل القضية هي: تُرى لو كان بسمارك حياً فما هي الخطة التي كان سيتبعها؟ لا شك أن هذا الرجل البعيد النظر ما كان يمد يده إلى «روسيا» البلشفية المشرفة على الموت أبداً.

* لا يُسهى عنا أن «بسمارك» تبنى الرأي القائل بالاستعمار وغزو الأسواق العالمية كما أن قضية التنظيم الداخلي كانت شُغله الشاغل، فمن الطبيعي والحالة هذه أن يعتبر وقوف روسيا على الحياد في خصامه ضد الغرب انتصاراً كبيرا لسياسته ولكن ما كان صالحاً في ذلك الوقت لألمانيا هو اليوم في غير مصلحتها.

* في عام 1921م جرت محاولات لخلق الروابط بين حركتنا التحررية وبين بقية الحركات التحررية في البلدان الأخرى، واقترح الوسطاء إنشاء «عصبة الأمم المضطهدة» وقد اجتمعت عدة مرات

مع رجال ادعوا أنهم ممثلين عن بعض الدول البلقانية والهند ومصر، فأعربوا عن رغبتهم في إيجاد تعاون وثيق بين الحركات الاستقلالية في بلادهم وبين الحركة الوطنية الاشتراكية ولكنني لم أهتم ولم ألتفت إلى أقوالهم لأنهم تكشفوا لي عن كونهم ثرثارين وأدعياء لا يفقهون ما يريدون.. إلا أن هؤلاء الاستقلاليين وجدوا مَنْ يسمع لهم ويتحمس لآرائهم في صفوف القوميين الألمان الذين اعتقدوا أن محدثيهم من تلاميذ هنود ومصريين، بأنهم الممثلين الحقيقيين لمصر والهند، وقد فاتهم أن هؤلاء التلاميذ لا يمثلون إلا أنفسهم وبالتالي فالحديث معهم والدخول معهم في مفاوضات يعتبر مضيعة للوقت، وحتى لو كان هؤلاء معتمدين رسميا من قبل بلادهم فالمشروع في حد ذاته لا فائدة له ويعود بالتالي على القومية الألمانية بأضرار فادحة.

* لقد جربت ألمانيا التعاون مع دولة لا قيمة عسكرية لها حين قامت بالتحالف مع تركيا والنمسا لتواجه أقوى الدول عسكريا وصناعيا فكانت النتيجة الكارثة التي لا نزال نقاسى من ذيولها. ويبدو أن هذا الدرس القاسي لم يكن كافيا بدليل تحمس المهووسين من المواطنين لمشروع «عصبة الأمم المضطهدة» اقتناعاً منهم أن هذه العصبة ستجرد المنتصرين الأقوياء من سلاحهم.

* لقد قاومت هذه الفكرة وبينت سخف هذا المشروع لأنهما

يحولان شعبنا عن إمكاناته الحقيقية ويحملانه على الاستسلام إلى الأوهام والأحلام، وما أقرب الشبه بين الألماني اليوم وإنسان مجهول مشرف على الغرق، فهو يتشبث بعود من الكبريت يجده طافياً على الماء لكي يتفادى الموت غرقاً، وهكذا وضعنا اليوم، فإننا نجد في أوساط المثقفين أنفسهم أشخاصاً يتحمسون كمشاريع وهمية «كمشروع عصبة الأمم المضطهدة» و«عصبة الأمم» وما شابههما.

ويواصل هتلر سرد ذكرياته في كتابه كفاحي قائلاً: -

* وأكثر حادثات شغلت منظماتنا «العنصرية» لمدة أشهر هي فقد جاء إلى أوروبا عام 1921م طائفة من الهند واستطاعوا إقناع الناس بأن الإمبراطورية البريطانية مشرفة على الانهيار لأن الهند وهي حجر الزاوية في هذه الإمبراطورية على أبواب ثورة هائلة، وقد وقف العنصريون في ألمانيا بانتظار انهيار الإمبراطورية البريطانية شأنهم شأن الأطفال في عيد الميلاد، فبرهنوا بذلك عن قصر شديد في النظر وجهل فاضح لتاريخ الفتح الإنجليزي.

* إن استمرار خضوع الهند للسيطرة الإنجليزية هو أمر حيوي بالنسبة لهذه الدولة فلا يُعقل والحالة هذه أن تتخلى إنجلترا عن الهند أو تترك «جوهرة التاج» تفلت من أيديها، وهذا لن يصير إلا إذا أدرك الإنجليز الانحلال العنصري وهذا غير محتمل، أو إذا

قضى على إنجلترا بضربة قاسمة من عدو أقوى منها أما الزعم بأن قيام الهنود بثورة سيسبب انهيار الإمبراطورية البريطانية فهذا زعم باطل ويجوز أن يصدقه أبناء أمريكا الجنوبية مثلاً ولكن لا يجوز أن يصدقه الألمان الذين اختبروا مقدرة الإنجليز وتأكدوا أنها أمة قوية شديدة المراس.

* ولم يكن «العنصريون» الذين تأملوا الخير من الحركة الاستقلالية في مصر أعقل من الذين قعدوا ينتظرون انهيار بريطانيا، لأن الهنود أرادوا القيام بثورة فالحركات الاستقلالية في مصر قد تزعج بريطانيا ولكن لن تتمكن هذه الحركات من زحزحة الكابوس البريطاني، ولن يقدموا على التضحية بأنفسهم وأرواحهم في سبيل «إخوانهم» الألمان كما يعتقد الخياليون من المواطنين.

* إن المؤمنين بالكفاح المشترك أي الكفاح الألماني المصري الهندي لم ينظروا إلى حاضرهم الأليم فهل من المعقول لحلف يضم ثلاثة مقعدين القيام بمهاجمة عملاق يقظ لا يتورع من استعمال أشد الأساليب للدفاع عن كيانه والحفاظ على ممتلكاته وأنا كعنصري أتخذ من الأعراق ميزانا أزن به القيمة البشرية، لا أسمح لنفسي ولو بالتفكير بربط مصير شعب كالشعب الألماني بمصير شعوب تحتل من حيث التسلسل العنصري مرتبة وضيعة..

* لا يمكننا أيضاً الاعتماد على روسيا في كفاحنا من أجل تحرير أمتنا فهي أيضا ينطبق عليها ما سبق وقلته في «الشعوب المضطهدة» خاصة بعد أن أصبحت الأمور بين أيدي جماعة من المغامرين الدوليين، ثم إن هذا الحلف لن تفيد ألمانيا منه شيئاً من الناحية العسكرية لأن القتال سيدور ضمن الأراضي الألمانية دون أن نلتقي أية معاونة مهمة من روسيا ضد أوربا الغربية، وباعتبار أن بولونيا تقف في طريق الجيش الروسي حين يزحف نحو الغرب لأن بولونيا هي حليفة ثمينة لفرنسا، فيتوجب بالتالي على روسيا لتتمكن من نقل قواتها إلى أرض المعركة الرئيسية أن تصفي حساب «بولونيا» أولاً، هذا مع العلم أن ألمانيا ستكون بحاجة ماسة إلى الوسائل التكتيكية أكثر من حاجتها إلى الرجال، وفي حال نشوب الحرب بينها وبين الدول الغربية وقد سبق لألمانيا أن تحملت وحدها عبء الحرب التكتيكية أثناء الحرب العالمية الأولى لأنها لم تحسن اختيار حلفائها، لذلك تتمكن من مقابلة الدول الغربية المجهزة بوسائل تكتيكية ممتازة ستقرر مصير الحرب، مع العلم أن روسيا لا يعتمد عليها من هذه الناحية لافتقارها إلى تلك الوسائل، وكذلك يمكن القول بالنسبة لألمانيا التي لا تملك المعدات التكتيكية اللازمة خاصة وأن إمكاناتها محدودة جداً، وخلاصة القول إن دخولنا الحرب معتمدين على روسيا سيعني الخسارة المحتمة.

* ويقول مؤيدي التحالف مع روسيا إنه لا يعني بالتالي ضرورة قيام الحرب فيمكننا عقد الاتفاق اليوم ومن ثَمَّ الاستعداد والتجهيز للغد، فإلى هؤلاء أقول إن هذا الحلف الذي يدعون إليه لا قيمة له، لأننا إذا رضينا وأقمنا التحالف مع روسيا وابتدأنا تجهيز أنفسنا منذ اليوم إلى الحرب التي قد تنشب، فالأعداء الذين يتطلعون ويراقبون نشاطاتنا لن يعطونا الفرصة الكافية لاستكمال هذا التجهيز والاستعداد للحرب، فسرعان ما يستدرجوننا إلى ميدان الصراع ونحن لم نكمل بعد استعداداتنا ومن ثَمَّ يحملوننا مسؤولية النزاع كما حدث سابقاً.

* **وبالإضافة إلى كل هذا هناك حقيقتان هامتان:.**

الأولى: أن نظرة الحكام الحاليين في روسيا إلى المعاهدات والاتفاقيات لا قيمة لها ولا هم يقيمون لها أي وزن، إن حكام روسيا الحاليين هم مجرمون لا تزال أيديهم مخضبة بالدماء، إنهم حثالة البشر التي استغلت غفلة القدر لتنقض على دولة جبارة كبيرة، وتصرعها، وتفتك بالملايين من أبناء الطبقات الموجهة لتبني على الأنقاض دكتاتوريتها المطلقة، فحكام روسيا اليوم هم أبناء الشعب الذي أتقن النفاق والكذب، أبناء الشعب الذي يدعي أنه سيسيطر على العالم، إن حكام روسيا اليوم هم اليهود وأذنابهم، فاليهودي

الذي يملك زمام الأمور في روسيا لن ينظر إلى ألمانيا كدولة حليفة يمكن التعاون معها، بل ينظر إليها كضحية جديدة سينقض عليها حين تسنح له الفرصة المقبلة، فكيف يمكننا والحالة هذه أن نحالف شريكا تقوم مصالحه على خرابنا؟ وكيف يُريد البعض أن نعقد الاتفاقيات مع شعب شعاره الكذب والتلفيق والسرقة..؟!

والحقيقة الثانية: ـ هي أن المرض الخبيث الذي قضى على روسيا هو نفس المرض الذي يهدد ألمانيا بالذات، وليثق الذين يتغاضون عن هذا الخطر الداهم أن بلشفة روسيا هي خطوة أولى نحو إخضاع العالم لسيطرة اليهود، فاليهود كالإنجلوساكسون قد يتحولون عن أهدافهم لفترة محدودة ولكنهم لا يتخلون عن هذه الأهداف أبداً.

*** ويواصل هتلر حديثه قائلاً:.**

إن ألمانيا هي ضحية البلشفية المقبلة، ولن نتمكن من الخلاص من براثنها إلا بواسطة فكرة قوية تجمع حولها المخلصون، وتؤدي بالتالي إلى النهوض بشعبنا، وأن القول إن ألمانيا بحاجة إلى مَنْ تستند عليه في سعيها إلى تحرير نفسها، وأن روسيا هي الحليف الصالح هذا القول يدل على جهل وقصر في النظر إلى الأمور أو يدل على سوء النية، فكيف يجوز بنا الاعتماد على دولة يحكمها أعداؤنا الألداء؟.

* إن مكافحة البلشفية تتناقض والتفاهم مع روسيا السوفياتية، فإذا تحالفنا مع السوفيات نكون قد تحالفنا مع إبليس لنطرد به الشيطان، وأنه كان على الحكام في ألمانيا قبل 1914م أن يحالفوا إنجلترا ليتمكنوا من التوسع شرقا وهم مطمئنون أو أن يتحالفوا مع روسيا ليأمنوا شرها ولكي لا يضطروا إلى الحرب على جبهتين، أما اليوم فالتحالف مع روسيا أصبح لا قيمة له، بعد أن رسمت حركتنا لألمانيا سياسة خارجية مستوحاة من الواقع ومتفقة مع مصالح أمتنا، وهي تأمل أن يتمكن الحُكام من الحفاظ على هذه المصالح والتقيد بالسياسة المرسومة التي تصلح أن تكون وصية سياسية، أما الخطوط الرئيسية لهذه السياسة فهي «لا تسمحوا أبداً بقيام دولتين بريتين كبيرتين في القارة الأوروبية وفي كل محاولة لإنشاء دولة كبرى قريبة من الحدود الألمانية تكمن محاولة خبيثة لتهديد بلادنا، ويجب اعتبار أية محاولة من هذا النوع كاعتداء مباشر على حدودنا كما يجب عليكم أن تمنعوا قيامها بكل الإمكانيات والوسائل التي تملكون، واحرصوا على أن يكون مصدر قوة ألمانيا في أوروبا ضمن الأراضي الألمانية، ولا تطمئنوا إلى وضع الرايخ ومصيره قبل أن توفروا للشعب الألماني المدى الحيوي الذي يحتاج إليه».

* **ويواصل هتلر حديثه قائلاً:.**

أعود إلى موضوع التحالف بيننا وبين إنجلترا وإيطاليا لأركز على

أهمية هذا التحالف من الوجهة العسكرية، فالتحالف مع إنجلترا وإيطاليا يعطي نتائج عسكرية هامة، عكس ما يعطيه التحالف مع روسيا، فتحالفنا مع إنجلترا وإيطاليا لن يؤدي إلى نشوب الحرب، فالدولة الوحيدة التي تعارض هذا الحلف هي فرنسا، وهي لن تتمكن من افتعال الحرب لأنها تعلم بأنها أضعف من أن تحارب هذه الدول الثلاث، ويضاف إلى ذلك أن التحالف مع الإنجليز والإيطاليين يعطينا الوقت الكافي للتأهب والاستعداد لمعركة الثأر التي يجب أن نخوضها ضد فرنسا بعد أن تتمكن الدبلوماسية الألمانية من عزل فرنسا وانتزاع المبادرة منها عسكريا وسياسياً، وهناك أهمية تكتيكية للحلف الثلاثي هذا، فألمانيا لن ترهق نفسها بأعباء الحرب ومتطلباتها باعتبار أن حليفتهما قادرتان على تجهيز أنفسهما تكتيكيا بفضل اقتصادهما المنظم ومواردهما الضخمة.

* وليعلم الحاقدون أن الاستمرار في معاداة أعداء الأمس سيزيدهم تكتلا وقوة فالنفسية الألمانية لا يمكن أن تكسب من تفريق كلمتهم لذلك يجب أن نفهم أن كل دولة لا ترضى عن تزايد نفوذ فرنسا في القارة الأوروبية هي حليفة طبيعية لألمانيا وأنه لا يجوز لنا أن نحجم عن استمالة هذه الدولة خاصة وإن كان هذا التفاهم أو التحالف يمكننا من سحق فرنسا التي تريد إبادتنا.

الفصل الرابع

بداية النهاية
لهتلر

«بداية النهاية لهتلر»

* في الثامن والعشرين من شهر يونيو عام 1941م قام ثلاثة ملايين جندي من القوات الألمانية بمهاجمة الاتحاد السوفيتي ضاربين بمعاهدة عدم الاعتداء التي وقعها هتلر مع ستالين منذ عامين عرض الحائط، وتعتبر الأسباب التي دعت هتلر إلى غزو الاتحاد السوفيتي من الموضوعات الهامة التي ثار بشأنها جدلاً تاريخيا كبيراً، وقد تم إطلاق اسما رمزيا على هذا الغزو اسمه عملية «باربا روسا»، وقد صرح بعض المؤرخين مثل أندريس هيلجروبر أن هذه العملية لم تكن إلا خطوة مرحلية ضمن خطة هتلر التي أطلق عليها اسم «خطة الخطوات المرحلية» والتي كانت تستهدف إخضاع العالم..

ويعتقد «هيلجروبر» أن هتلر قد وضع هذه الخطة في سنوات العشرينيات من القرن العشرين، وعلى صعيد آخر يرى مؤرخون آخرون مثل جون لوكاكسي أن هتلر لم يكن لديه أبداً خطة مرحلية لإخضاع العالم، وأن غزو الاتحاد السوفيتي كان خطوة قام بها هتلر لغرض معين بعد أن رفضت بريطانيا الاستسلام.

* وقد صرح «لوكاكسي» أن السبب الذي صرح به هتلر في حديث خاص عن غزو الاتحاد السوفيتي كان بالتحديد أن وينستون تشرشل قد علق الأمل على اشتراك الاتحاد السوفيتي إلى جانب قوات الحلفاء، ومن ثَمَّ وجد هتلر أن الطريقة الوحيدة التي يستطيع بها أن يجبر بريطانيا على الاستسلام هو القضاء على هذا الأمل، وكان ذلك هو السبب الحقيقي الذي دفع هتلر إلى تنفيذ هذه العملية..

* ومن وجهة نظر «لوكاكسي» فإن عمليه غزو الاتحاد السوفيتي كانت من هذا المنطق خطوة قام بها هتلر أساساً ضد بريطانيا لإجبارها على أن تسعى للسلام معه عن طريق تدمير أملها الوحيد في النصر، فلم تكن هذه الخطوة في حقيقة الأمر ضد الاتحاد السوفيتي.

* ويرى المؤرخ «كلاوس هياد براند» أن كل من ستالين وهتلر كان يخطط منفرداً للهجوم على الآخر في عام 1941م. ويرى أيضا أن الأخبار التي انتشرت في ربيع 1941م عن احتشاد القوات السوفيتية على الحدود أدت إلى اشتراك هتلر في خطة الفرار إلى الأمام وتعني مجابهة الخطر عن طريق الهجوم بدلاً من الانسحاب، وتوجد طائفة أخرى من المؤرخين منهم فيكتور سافورف، ويواشيم هوفمان، وأرنست نولد، ودافيد أيرفينج تعتقد أن السبب الرئيسي والرسمي الذي صرح به الألمان لقيامهم بغزو الاتحاد السوفيتي عام

1941م وهو السبب الفعلي وراء هذه العملية وهو «حرب وقائية» حيث وجد هتلر نفسه مجبراً على الدخول فيها لتفادي هجوم سوفيتي كان سيعوقه عن تحقيق أحلامه، ذلك الهجوم الذي كان مقرراً له أن يتم في يوليو 1941م، وتعرضت هذه النظرية لهجوم كبير وتم وصفها بأنها خاطئة، وقد قام المؤرخ الأمريكي «جيرهارد فاينبرج» بتشبيه المدافعين عن نظرية الحرب الوقائية بمن يؤمنون بالحكايات الخرافية..

* المهم تم الهجوم واستولت القوات الألمانية في غزوها للاتحاد السوفيتي على أجزاء كبيرة من الأراضي التي شملت دول البلطيق وروسيا البيضاء وأوكرانيا وكذلك حاصرت القوات الألمانية الكثير من القوات السوفيتية ودمرتها، وهي القوات التي أصدر ستالين أوامره إليها بعدم الانسحاب وبالرغم من ذلك وجدت القوات الألمانية نفسها مجبرة على التوقف قبل تمكنها من دخول موسكو مباشرة في ديسمبر عام 1941م بسبب الشتاء الروسي القارص والمقاومة السوفيتية العنيفة، وفشل الغزو في تحقيق النصر السريع الذي كان هتلر يريده.

* في الثامن عشر من شهر ديسمبر عام 1941م سجل هاسنريش هيلمر تفاصيل المقابلات والأسئلة التي وجهت لهتلر، منها سؤال ماذا

ستفعل مع يهود روسيا؟، وكانت إجابة هتلر على السؤال «سأقوم بإبادتهم على أنهم أعضاء القوات الغير نظامية التي تزعج القوات الألمانية».

* لقد وضع إعلان هتلر الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية في الحادي عشر من ديسمبر عام 1941م بعد أربعة أيام من قيام اليابان بالهجوم على ميناء بيرل هاربور في هاواي، وبعد ستة أيام من اقتراب القوات النازية الألمانية من موسكو في مواجهة ائتلاف ضم أكبر إمبراطورية في العالم ممثلة في الإمبراطورية البريطانية وأكبر قوة صناعية ومالية في العالم ممثلة في الولايات المتحدة الأمريكية وأكبر جيش في العالم ممثلاً في الاتحاد السوفيتي.

* وفي أواخر عام 1942م لحقت الهزيمة الكبرى بالقوات الألمانية في معركة العلمين الثانية الأمر الذي وضع حداً لمحاولة هتلر الاستيلاء على قناة السويس والشرق الأوسط.

* في فبراير عام 1943م انتهت معركة ستالينجراد الهائلة بتدمير الجيش السادس الألماني وبعد ذلك وقعت معركة «كورسك» الهائلة وأصبحت قرارات هتلر غريبة الأطوار بشكل متزايد وأخذ الوضع العسكري لألمانيا في التدهور كذلك، وتدهورت حالة هتلر الصحية، فقد كانت يده اليسرى ترتجف بشكل ملحوظ ويعتقد «أيان كيرشو» الذي كتب السيرة الذاتية لهتلر، أن هتلر في ذلك الوقت ربما

كان يعاني من مرض الشلل الرعاش.

* وبعد اجتياح قوات الحلفاء لصقلية في عملية «هاسكي» عام 1943م تم عزل موسوليني من قبل بييترو بادوليو الذي أعلن استسلامه لقوات الحلفاء.

* وطوال عامي 1943 ، 1944م كانت القوات السوفيتية تجبر جيوش هتلر على الانسحاب بكل ثبات على طول الجبهة الشرقية.

* في السادس من يونيو 1944م تمت عملية إنزال جنود الحلفاء الغربيون في شمالي فرنسا في واحدة من أكبر العمليات البرمائية التي حدثت في التاريخ العسكري وهي العملية التي عرفت باسم «عملية القائد الأعلى» وبعدها بانت الرؤية واضحة وأصبح القادة الألمان يعرفون أن الهزيمة حتمية بل خطط البعض منهم لإقصاء هتلر عن السلطة...

في يوليو عام 1944م قام كلاوس فون شتاو فينبرج بزرع قنبلة في مركز قيادة الفوهرر هتلر المعروف باسم وكر الذئب في رستنبورج ولكن هتلر نجا من الموت بأعجوبة وأصدر هتلر أوامره بالقيام بعملية وحشية انتقامية تم فيها تنفيذ حكم الإعدام في أربعة آلاف وتسعمائة شخص، الأمر الذي تم عن طريق التجويع في الحبس الانفرادي.

* وبحلول نهاية 1944م كان الجيش الأحمر قد أجبر الألمان على التراجع إلى أوروبا الوسطى وكانت قوات الحلفاء الغربيون تتقدم صوب ألمانيا.

* أدرك هتلر أن ألمانيا قد خسرت الحرب، ولكنه لم يسمح بالانسحاب، وتمنى هتلر أن يقوم بالتفاوض المنفرد من أجل السلام مع الأمريكيين والبريطانيين وهو الأمل الذي دعمه وفاة فرانكلين روزفلت في الثاني عشر من أبريل 1945م.

* أصدر هتلر أوامره بالتدمير الكامل لكل البنية التحتية الصناعية الألمانية قبل أن تقع في أيدي قوات الحلفاء، وقال إن فشل ألمانيا في الفوز بالحرب أدى إلى خسارتها لحقها في البقاء وهكذا قرر هتلر أن الأمة الألمانية بأسرها يجب أن تنتهي معه وعهد هتلر بتنفيذ خطة الأرض المحروقة إلى وزير التسليح ألبرت سبير الذي لم يطع أوامر هتلر ولم ينفذها.

* في أبريل عام 1945م هاجمت القوات السوفيتية ضواحي برلين ووجد هتلر نفسه في وضع يجبره فيه مطاردوه على الفرار إلى جبال «بافاريا» ليتمكن من مواجهتهم في جولة أخيرة في المعقل الوطني الذي لجأت إليه الفلول المتبقية من القوات ولكن هتلر كان مصمماً على أن يعيش في عاصمة بلاده أو يهلك فيها.

الفصل الخامس

النهاية الحزينة

زواج هتلر وانتحاره

النهاية الحزينة

* بدأت أحداث النهاية الحزينة لهتلر مع ظهر يوم 29 أبريل 1945م حيث بثت وكالة رويتر للأنباء خبرا مفاده أن «هيملر» قائد جيش الصاعقة الألماني حاول التفاوض بشأن استسلام الرايخ الثالث واتصل بالكونت «برنادوت» بخصوص هذا الأمر وذلك مقابل خلافته لهتلر وما زالت المفاوضات جارية..

* أصاب هذا الخبر المذهل «هتلر» بأزمة نفسية نظرا لكونه كان يثق في «هيملر» لذلك صاح في غضب قائلاً إنهم يخونني، إنهم يطمعون في مقعدي وكانوا يخططون لهزيمتي لأجل مصالحهم الخاصة، يا لهم من خنازير!!

* وزاد الأمر سوءاً بعد ذلك بساعات قليلة عندما علم أن الروس يتقدمون عبر النفق المار عبر نهر «سبري»، لذلك أعطى أوامره بفتح المياه داخل النفق وإغراق مَنْ فيه، وقد صاح أحد جنرالاته منبهاً يا سيدي الفوهرر هناك قوات جريحة لنا وجدت ملاذا لها داخل النفوق فكان رد هتلر الفوري هو... وليكن فليغرق الجميع..

* وبالفعل فتحت بوابات المياه فغرق مَنْ بالنفق تماماً، جلس هتلر وسط جنرالاته طالبا كتابة وصيته وتوقيعهم عليها، وفي هذه الوصية أمر هتلر بتوزيع كل ممتلكاته كوقف عام للحزب النازي، وإهداء مجموعته الفنية للإدارة المحلية في بلدته «لنتز» مسقط رأسه وكتب عنوان الوصية عبارة «الموت شرف للفوهرر من أن يقع أسيرا في يد أعداء بلاده» وقد سميت هذه الوصية «بالوصية السياسية» لأن هتلر قد أطال فيها الوصف وكشف فيها الكثير من الحقائق وحدد فيها ما يريده من طلبات، وقال في وصيته إنه لن يغادر برلين أبدا وسيموت فيها مرتاح البال، كما أوصى بطرد «جورينج وهيلمر» من الحزب النازي وتعيين الأدميرال «كارل دونيتز» خليفة له في حكم الرايخ الثالث.

وكان أظرف ما في هذه الوصية إعلان هتلر أنه راهب سياسي كرس حياته ونفسه من أجل الرسالة السياسية وأنه بذلك قد تزوج ألمانيا طيلة حياته الماضية ولكنه اليوم قرر أخيرا إعلان زواجه من «إيفا براون» التي ضحت بالكثير من أجله.

* وبالفعل في مساء 29 أبريل 1945م أقيمت حفلة زواج صغيرة ومحدودة للغاية في الحصن المحصن، حيث رقص الجميع على أنغام موسيقى «فاجز» بعد أن عقد القران بواسطة موظف

حكومي إداري كان معهم وأقسم الاثنان «هتلر وإيفا» على أنهما من دم آرى خالص، وقد قدم هتلر في وصيته تبريرا لزواجه بعد سنوات طويلة من العاطفة الصادقة مع «إيفا»، وقد قررت «إيفا براون» بمحض إرادتها مشاطرته حياته حتى آخر المطاف ولذا فقد أراد هتلر أن يجرها معه في رحيله الأكبر بعد أن تصبح زوجا له وفي ذلك قال هتلر بعد يوم واحد من حياتهما الزوجية: «لقد قررت وزوجي أن نموت لتجنب عار الأسر، إننا نرغب في أن تُحرق جثمانا في الموضع نفسه الذي بذلت فيه خلال اثني عشر عاماً أكبر قسط من كدي في خدمة شعبي.

* بعد ظهر 30 أبريل 1945م كان هتلر قد قام بقتل كلبته بلوندي بالسم خلال تناوله إفطاره وذهب سائقه «أريك كمبكا» وأربعة جنود لنقل 180 لترا من البنزين الذي سيستخدم لإحراق جثته وزوجته إيفا براون وعصراً دخل أدولف هتلر وزوجته «إيفا براون» إلى حجرتهما وبعد لحظات انطلق عيار ناري، لقد أطلق هتلر رصاصة من مسدسه في فمه ولحقته زوجته موتا صامتا بتناولها السم. ثم بعد ساعة واحدة كان الضباط يحرقون جثة هتلر وزوجته وكافة المستندات الهامة التي لديهم..

وهكذا كانت النهاية الحزينة لـ «هتلر»..

فهرس المحتويات